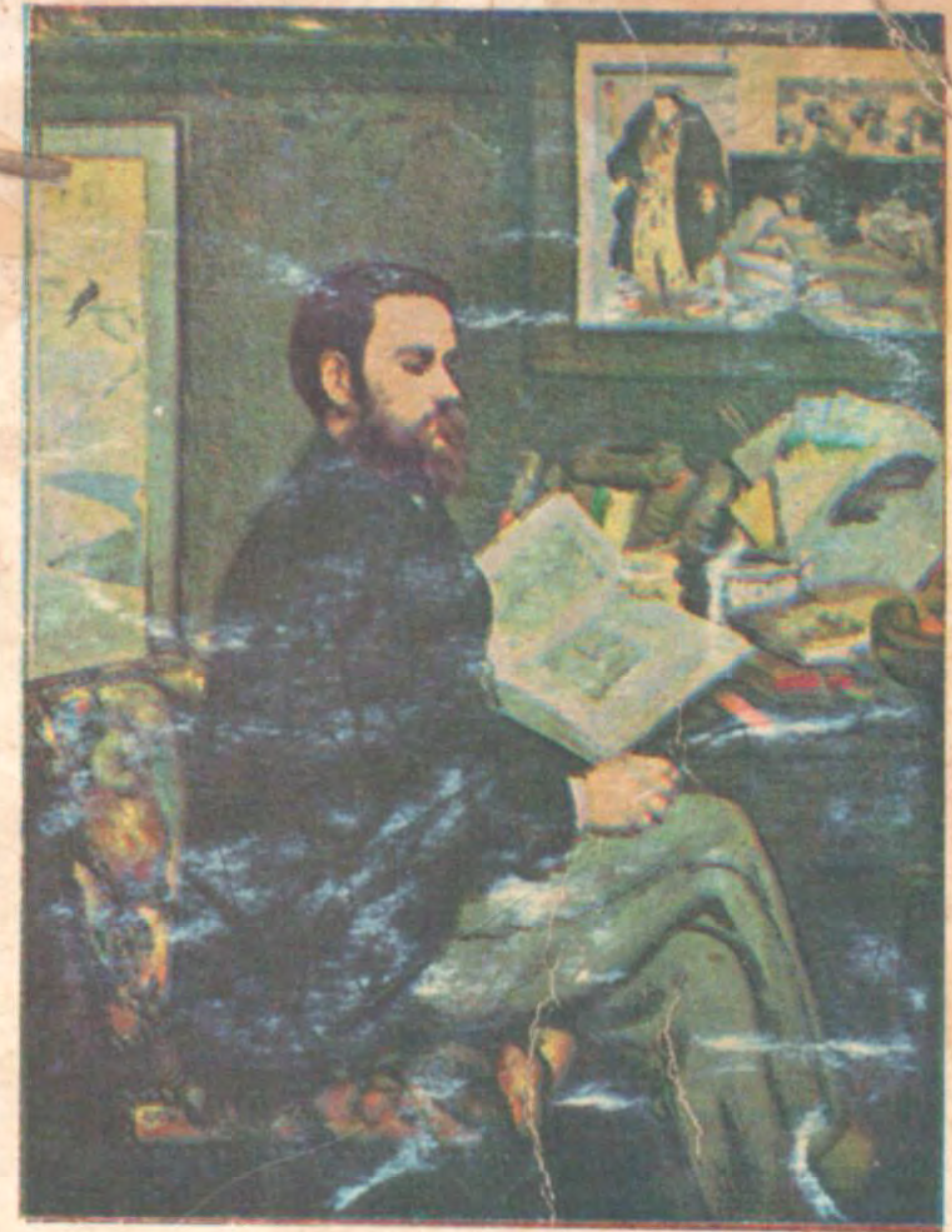


اميل زولا

الوحش فى الانسان

ترجمة : محمود مسعود



اميل زولا .. بريشة مانيه

الوحش فى الانسان

هام بها حبا ، ولكن ما أن يرى جسدها ، حتى تستبد به رغبة جنونية فى أن يغمد خنجره فى أحشائها ، فهناك بعيدا ، بعيدا فى أعماقه يكمن الوحش الجبار .

وترامت بين ذراعيه وطفت عليه شهوة الدم فخرج يركض الى الطريق ينشد امرأة أخرى ليقتلها ، بيد أنه أخيرا عاد اليها — فى يوم ما — وقتلها ، ووقف يتلذذ ويستمتع بدمها المراق ، كما استمتع من قبل بما نال منها من قبلات .

١٠ قروش
فى ج.ع.م

طارق محمد

الوحش فى الإنسان

تأليف : اميل زولا

ترجمة : محمود مسعود

الفصل الأول

كانت الغرفة خانقة الحرارة ، فلابد أن فكتوار العجوز قد وضعت فحما كثيرا فى المدفأة قبل خروجها للعمل هذا الصباح • وما أن دخل روبو الى الغرفة حتى وضع الخبز والفطيرة والنبيذ الابيض فوق المائدة ، ثم أسرع الى النافذة ففتحها وأطل منها •

كان المنزل فى أحد شوارع باريس الصغيرة ، وقد خصصته شركة السكك الحديدية لايواء موظفيها • وكانت الغرفة علوية تحت السطح فى الطابق الخامس ، ومن نافذتها وقف روبو يطل مبهورا على محطة سان لازار الكبيرة التى تقتطع مساحة طيبة من قلب باريس ولا تهدأ فيها حركة القطارات الذاهبة والآيبة ، ويقارن بينها وبين محطة الهافر المتواضعة التى يعمل فيها مساعد ناظر محطة • وكان ذلك شأنه دائما كلما جاء الى باريس لقضاء يوم فى غرفة الام فكتوار ، اذ يستهويه مشهد العمل وحركته الضخمة الدائبة •

وبينما هو يهم بترك النافذة اذ سمع صوتا يناديه ، فأطل مرة أخرى •• كان المتكلم فى شرفة الغرفة التى تحته مباشرة هو هنرى دوفرن ، حارس القطارات الذى يناهز الثلاثين ، وكان يقيم فى الغرفة مع أبيه وشقيقتيه الفاتنتين المرحتين • وقد قال له هنرى :

ــ أنت فى باريس يا مسيو روبو ؟ آه ، تذكرت •

بالطبع حضرت من أجل تلك المشكلة الصغيرة بناء على طلب نائب المدير ٠

فقال روبو وهو متكىء على حافة النافذة أنه اضطر الى السفر من الهافر فى الصباح المبكر امتثالا لاستدعاء نائب المدير لكى يتلقى التأنيب القاسى الذى كان ينتظره، ومن حسن الحظ ان المسألة انتهت دون ان يفقد وظيفته ٠

فسأله هنرى : ــ وكيف حال زوجتك ؟

انها اصرت على مرافقته فى هذه الرحلة لكى تشترى أشياء لها من باريس ، وهو الان ينتظر عودتها ٠٠ ان فكتوار العجوز كانت تسمح لهما دائما بمفتاح هذه الغرفة عند حضورهما الى باريس ، وكان يطيب لهما ان يتناولا فيها طعام الغداء فى هدوء بينما تقوم هى بعملها فى المحطة ٠ والان قد جاوزت الساعة الثالثة ، وهو يكاد يموت جوعا ٠

وسأله هنرى عرضا اذا كان فى نيتهما قضاء الليلة فى باريس ، فرد روبو سلبيا ، وأبدى أنهما سيركبان قطار السادسة والنصف عائدين الى الهافر ٠ وفجأة قطع حديث الزميلين فى العمل نغمات بيانو انبعثت من حجرة الشقيقتين المرحتين مصحوبة بضحكاتهما المفعمة بخفة الشباب ولهوه فانبسطت أسارير هنرى ، ولوح بيده مودعا ، وارتد الى الداخل للمشاركة فى المرح ٠

وعاد روبو بدوره الى داخل الغرفة ، ولم يتمالك أن قطب وجهه حين نظر الى الساعة ٠ كانت الثالثة والثلث ، فما الذى اخر سيفرين الى هذا الوقت ؟ لاشك انها كالعادة نسيت نفسها وهى تتنقى وتشترى ٠ ولكى ينسى روبو جوعه الشتد تشاغل باعداد المائدة ، فأخرج من الدرج الاطباق والفوط والشوك والسكاكين والاكواب ، ونسقها فوق المائدة ، فوضع الفطيرة فى طبق وزجاجة

النبيذ جانبها ، وفتح اللفافة التى جاء بها وأخرج منها علبة السردين وقطعة الجبن ووضعهما فى مكانهما المناسب ٠٠ لاشك أن سيفرين ستضحك طربا حين تفتح الباب وتبصر هذا المشهد .. أنها تعلم أنه يتلذذ بهذا العمل ٠

ودقت الساعة النصف بعد الثالثة ، فأخذ روبو يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يتلفت الى ناحية الباب كلما سمع أقل صوت على السلم ٠ وفى مروره بالمرآة وقف يتأمل نفسه برهة ٠ لا بأس به فى هذه السن ٠ كان يناهز الاربعين ، ولكن لا أثر للشيب فى شعره الاحمر المتموج ٠ وكان متوسط الطول ، قوى البنية . لقد سر بما طالعه فى المرآة : جبين منخفض ، وعنق غليظ ، وجه مترع بالدم ، وعينان كبيرتان لامعتان ٠٠ انه تزوج امرأة تصغره بخمسة عشر عاما ، وكانت هذه النظرات فى المرآة بين فينة وأخرى تطمئن نفسه ٠

وشرد نظره الى علبة من الصدف كانت موضوعة فوق دولاب الاوانى ٠٠ انه يعرفها جيدا ، انها كانت هدية من سيفرين الى فكتوار التى كانت مرضعتها ٠ وذكرته العلبة بقصة زواجه ، الذى مضى عليه الان زهاء ثلاث سنوات ٠ لقد نشأ فى اقليم ميدى ابنا لسائق عربة نقل ، وبعد أن سرح من الجيش برتبة وكيل باشجاويش اشتغل حمالا للطرود فى محطة سكة حديد مانت ، ثم رقى على الاثر الى رئيس حمالين فى محطة بارنتان ٠ وفى هذه المحطة التقى بزوجته ، التى اعتادت أن تأتى وتستقل القطار مع الانسة بيرت ، ابنة القاضى جرانموران ٠ وكانت سيفرين أوبرى الابنة الوحيدة لبستانى كان يعمل فى خدمة آل جرانموران ، ولكن القاضى ، اشبينها وراعيها ، دللها الى حد أنه جعل منها رفيقة لكريمته ، وأرسلهما معا الى

مدرسة واحدة فى روان ، وكانت سيفرين ذاتها تبدو على حظ وافر من التربية الفطرية حتى لقد كان روبو يصبو اليها على البعد ، بذلك الحنين الذى يخامر عاملا عاديا الى جوهرة يعلم انها نفيسة وانها بعيدة عن متناول يده · كان ذلك هو الحب الوحيد فى حياته · وما كان يتردد فى الزواج بها حتى ولو كانت فقيرة مدقعة ، فى سبيل أن ينعم بامتلاكها · وعندما استجمع شجاعته فى النهاية ، كان الواقع يفوق كل أحلامه ، فان سيفرين لم تمهر فقط بدوطة تقدرها عشرة آلاف فرنك ، بل ان القاضى جرانموران ، الذى اعتزل الان العمل وعين عضوا فى مجلس ادارة شركة السكك الحديدية ، أخذ روبو تحت جناحه هو أيضا · فبعد الزواج مباشرة عين روبو مساعد ناظر محطة فى الهافر · نعم كانت هناك تقارير تشهد بصفاته الحميدة كالامانة وامكان الاعتماد عليه (وان وصف بأنه محدود الذكاء) ، وكانت هذه التزكيات كافية لتفسير ترقيته السريعة ، ولكن روبو كان يفضل أن يعزو هذا كله الى زوجته ، التى كان يعبدها ·

أما الآن ، وهو لا يزال ينتظر عودتها ، فانه فتح علبة السردين وقد تزايد ضيقه الى حد الغضب ·· كان المفروض أن تعود فى حدود الساعة الثالثة ، فأين ياترى هى الان ؟ ليس من الممكن أن تمضى النهار كله فى شراء حذاء وبعض الملابس الداخلية ، وعندما مر بالمرآة مرة أخرى ألفى نفسه مقطبا الى أبعد حد ·· فى الهافر لم يعهد نفسه قط مرتابا متشككا ، أما فى باريس فله أن يتصور كل شىء ، كالخطر ، والخداع ، والمكر · واندفع الدم الى رأسه وأطبق قبضتيه ، كشأنه فى الايام الخوالى حينما كان يدفع عربات النقل الثقيلة . وفى مثل هذا المزاج النفسى كان أشبه بحيوان لا يستشعر قواه ·· كان

بوسعه أن يسحقها بسهولة حتى الموت ·· فى سورة حنق أعمى ·

وفتح الباب ، واذا هى واقفة أمامه ، كلها نضارة ومرح · وقالت :

ـ ها أنا أخيرا ! هل ظننت أنى تهت ياحبيبى ؟

كان قوامها وهى فى ازدهار الخامسة والعشرين ، نحيلا ، لدنا ، وافر الاستدارة · وعند النظرة الاولى اليها لم تكن جميلة ، فان محياها كان متطاولا وفمها فى الجانب الاكبر ، ولكن أسنانها كانت منضدة ، وكلما أمعنت النظر اليها تجلى لك سحر عينيها الواسعتين الزرقاوين وشعرها الكثيف الفاحم ·

ولما رأت زوجها يدمن النظر اليها صامتا وفى ملامحه تعبير القلق والتردد الذى تعهده فيه جيدا ، قالت له :

ـ المسألة انى لم أجد الاتوبيس ، ولم أرد أن أضيع النقود فى ركوب مركبة ، وهكذا جئت الى هنا وأنا أجرى ·· بامكانك أن ترى أنى أشعر بالحر الى درجة كبيرة ·

ـ نعم ، أرى هذا ، وأنك ستقولين أنك جئت من محلات بون مارشيه رأسا !

فجرت نحوه وطوقت عنقه بذراعيها فى صراحة أخاذة لطفلة ، وأقفلت فمه بيدها البضة الجميلة قائلة :

ـ اسكت أيها الرجل الشنيع ! أنت تعرف كم أحبك !

ان كيانها كله كان ينم عن أبلغ الاخلاص حتى أنه ضمها اليه بعنف ·· ان شكوكه المبهمة كانت تنتهى دائما على هذه الصورة ·· انها كانت تحب أن يدللها ويلاطفها ، ولم تلبث الان أن أسلمت نفسها لعناقه ، وتركته يكتم أنفاسها بقبلات لم تبادله اياها رغم ذلك ، وكان هذا أحد أسباب هواجسه وظنونه · كانت مثل طفلة

كبيرة ، مليئة بالمحبة البذوية ، أما العاشقة المشبوبة العاطفة فان صورتها بدت الان هاجعة فى سباتها ٠

قال لها : ـ لا بأس ٠ اذن فقد اشتريت محلات بون مارشيه بأكملها ؟

ـ طبعا ! انتظر حتى أقول لك ! لكن دعنى آكل أولا ، فاننى فى شدة الجوع ٠ أنظر ، لقد أحضرت لك هدية صغيرة ٠ أسرع ٠ قل (أين هديتى الصغيرة) !

وأدنت محياها من وجهه وضحكت ٠٠ كانت ممسكة بشىء فى جيبها ، ولما استحثته مرة أخرى أن يطلب منها (هديته الصغيرة) ، ضحك تفكها وارتياحا وردد كلماتها ٠

لقد تذكرت أنه أضاع مطواة جيبه الكبيرة منذ أسبوعين وأنه افتقدها كثيرا ، فاشترت له مطواة أخرى جديدة ٠ ولم يتمالك أن هتف مبتهجا حين رأى مقبضها العاجى ونصلها اللامع ، وأراد أن يستخدمها من فوره ٠ وابتهجت هى بدورها لرؤيته مغتبطا هكذا ، وجعلته يعطيها قطعة من ذات الخمسة سنتيمات من ثمنها حتى لا تنفصم عرى الحب بينهما أبدا : وقالت له :

ـ والان ، هيا بنا نأكل ٠

وجلست تلتهم السردين بشراهة ٠٠ ان هذه الرحلات الباريسية كانت كخمر مسكرة بالنسبة اليها ، انها كانت تحب واجهات المتاجر ولذة الشراء من محلات بون مارشيه ، وكان ذلك شأنها كل ربيع : تنفق كل مدخرات الشتاء فى رحلة واحدة ٠ وجعلت تملأ فمها بالطعام وهى لا تكف عن الحديث ، وفى النهاية اعترفت وهى موردة الوجه بما أنفقته ، وهو أكثر من ثلاثمائة فرنك ، حتى قال روبو :

ـ سحقا لهذا ! ياله من اسراف بالنسبة لزوجة مساعد ناظر محطة !

فراحت تحدثه باسهاب عن اغراء المعروضات ورخص أسعارها بمقارنتها بماهو موجود فى الهافر ، وقالت انه سيعجب بها عندما يرسلونها الى عنوانهما ٠

وبدت له وافرة الملاحة بتورد محياها ومعاذيرها التى تذهب الغضب حتى لم يتمالك أن ضحك ٠ ان هذه الاكلة اللطيفة وهما وحدهما فى هذه الغرفة الواسعة بعيدا عن جو المطعم كانت شيئا طريفا شائقا ٠ ولم تتمالك سيفرين ، التى ألفت أن تشرب الماء ، أن أطلقت لنفسها للعنان وتناولت كأسا من النبيذ أتت عليه عن آخره ، وبعد السردين عمدا الى الفطيرة وفيها قامت المطواة الجديدة بدور رائع ٠ ثم سألته سيفرين :

ـ لكن ماذا عن موضوعك ؟ بدل أن تتركنى أتكلم طول الوقت ، حدثنى عن نائب المدير ٠

فحدثها تفصيلا عن مقابلته مع نائب مدير الشركة ، وكيف أنه دافع عن نفسه وشرح ما حدث بصدق عندما منع الراكب من ركوب عربة الدرجة الاولى فى القطار مع كلبه دون عربة الدرجة الثانية المخصصة لذلك ، وماتلا هذا من تبادل الكلمات الغاضبة.. ان نائب المدير قال له انه كان على حق فى تنفيذ لوائح الشركة ، ولكنه عنفه لقوله للراكب : « ان أمثالك لن يظلوا دائما هم الرؤساء ! » ٠ ان هذه الكلمات جعلتهم يرتابون فى أنه ذو ميول جمهورية ، والواقع أن المناقشات فى مستهل الدورة البرلمانية لعام ١٨٦٩ وظلال القلق المخيمة لقرب الانتخابات القادمة ، قد جعلت الحكومة على درجة من الحساسية ٠ ولولا الكلمة الطيبة التى قالها القاضى جرانموران فى حقه لعوقب بانزال درجته ، وكان عليه مع

ذلك أن يحرر خطاب اعتذار سطره له القاضى · فقالت
سيفرين عندما فرغ :

ــ بديع اذن . . ألم يكن جميلا أنى كتبت له وذهبت اليه
معك صباح اليوم وقابلناه قبل ذهابك الى نائب المدير ؟
كنت أعلم أنه سوف يخرجنا من هذه الورطة ·

فأجاب روبو : ــ نعم · انه فعلا يحبك كثيرا ، وله نفوذ
فى الشركة · ولكن أين مكان الاخلاص فى العمل ؟
صحيح أنهم أقروا بأنى معروف بالنظام والشجاعة
وحسن الخلق ، لكن لو لم تكونى زوجتى ياحبيبتى ، ولو
لم يتكلم جرانموران لمصلحتى من أجلك ، لذهبت ضحية
الواقعة · ربما كانوا طوحوا بى الى محطة صغيرة
نائية ·

وساد الصمت برهة . . ان سيفرين كفت عن الاكل وبدت
مستغرقة فى التفكير ، فهل كانت تفكر فى طفولتها التى
قضتها فى (قصر دوانفيل) على بعد عشرة أميال من
روان « انها لم تتذكر قط أمها ، وعندما توفى أبوها
البستانى كانت فى نحو الثالثة عشرة ، وهنا قرر
القاضى ، وهو ذاته أرمل ، أن يستبقيها كرفيقة لكريمته
بيرت ، تحت اشراف شقيقته مدام بونون ، أرملة صاحب
مصانع · وبعد ستة أشهر من زواج سيفرين وروبو ،
تزوجت بيرت التى تكبر سيفرين بعامين محاميا ناحلا من
روان يدعى لاشيناى ، وقبل ذلك بسنة اعتزل جرانموران
رئيس نفس المحكمة العمل بعد خدمة ممتازة ·· كان
مليونيرا وعضوا فى مجلس الدولة ، وقد أنعم عليه بوسام
الشرف يوم احالته الى المعاش · وفيما تتذكر سيفرين من
صورته الماضية ،فانه بدا دائماكما هو الان ، متين البنية
موفور القوة ، دب اليه المشيب ، ولكن شعره مازال
محتفظا بآثار لونه السالف ، ووجهه الصلب العريض ذو

العينين الزرقاوين والانف البارز يسبغ عليه مسحة من
الرهبة كانت تجعل الناس يخافونه ·

وقال روبو مكررا سؤاله بصوت أعلى :

ــ ما الذى تفكرين فيه ؟

فارتعدت ، كما لو أن شيئا روعها ، وقالت :

ــ آه · لا شىء فى الواقع ·

ــ أراك لا تأكلين · ألست جائعة بعد هذا ؟

ــ بل جائعة · أنظر وراقبنى !

وتناولت سيفرين رشفة من النبيذ ، وانقضت على
الشريحة الباقية من الفطيرة · وبرغم النافذة المفتوحة
فان الطقس مازال حارا ، ولم تستطع سيفرين وظهرها
الى المدفأة أن تشعر بترطيب ، بل ان محياها زاد توردا
وبدا وبه مسحة اضطراب ، وكأن شيئا غير مرغوب قد
تسلل الى حديثهما أثناء غدائهما المرح ·

وما لبث أن ذهب عنهما الجوع ، وأخذا يتشاغلان
باقتطاع شرائح من قرص الجبن لكى يطيلا الاكلة ما
استطاعا ، وكانت كلماتهما تخرج كذلك وانية بطيئة ·

وقال لها روبو :

ــ نسيت أن اسألك بالمناسبة ·· لماذا قلت لجرانموران
أنك لا تريدين الذهاب الى قصر دوانفيل للاقامة يوما أو
يومين عندما طلب ذلك منك ؟

وفى الاسترخاء المقترن بأكلة طيبة ، سرح بأفكاره الى
الزيارة التى قاما بها صباح اليوم الى المنزل الكبير
بشارع دى روشيه ، وتذكر نفسه فى غرفة المكتب
الواسعة ، وسمع القاضى وهو يقول انه عائد الى دوانفيل
فى اليوم التالى · ولكنه ما لبث وكأنما حفزه دافع
مفاجىء أن اقترح أن ينضم اليهما فى نفس المساء فى
قطار السادسة والنصف ، ويأخذ سيفرين معه لزيارة

شقيقته ، التى أرادت أن تراها منذ فترة طويلة · ولكن سيفرين أبدت كل أنواع المعاذير للتخلص من الذهاب ·
وقال روبو يسألها مرة ثانية :
ـ لماذا أردت الا تذهبى ؟
ـ الحقيقة أنى لم أرد أن اتركك وحدك ·
ـ ليس هذا سببا ! منذ زواجنا ذهبت الى هناك مرتين · فما الذى يمنعك من الذهاب مرة أخرى ؟
فأجابت دون أن تنظر اليه :
ـ كل ما هنالك أنى لم أشعر بميل الى الذهاب ·· يجب ألا تحاول حملى على فعل شىء لا أود أن أفعله ·
ـ هل السبب أنك لا تحبينه ؟ أذكر بأنك قلت أنك كنت ترتعبين منه وأنت طفلة .
ـ ارتعب ! أراك تبالغ كعادتك ·· نعم انه اعتاد الا يضحك كثيرا ، انه يحدق فيك بعينيه الواسعتين الى حد أنك تضطر أن تحول نظرك عنه · انى رأيت أناسا بلغ من فزعهم منه أنهم كانوا لا ينطقون بكلمة واحدة · ولكنه لم يوجه الى شخصيا أى تأنيب ، وكنت أشعر دائما أن هناك نقطة ضعف فيه تجاهى ···
وانحاز صوتها الى الهدوء ولاحت فى عينيها نظـــرة بعيدة ، وأردفت تقول :
ـ وأتذكر أنى وأنا طفلة صغيرة كنت ألعب مع أصحابى فى الحديقة ، وكانوا اذا شاهدوه قادما يجرون ويختبئون ، حتى بيرت ، كريمته · أما أنا فكنت أقف مكانى ، وعندما كان يرانى أرفع اليه رأسى مبتسمة ، كان يربت على خدى ···
واغمضت عينيها وآخلدت الى الصمت ، ومر ظل على محياها المتورد حين تذكرت. أشياء حدثت منذ زمن بعيد ، أشياء لم تقلها الان ·

واشعل روبو غليونه ، وقال :
ـ لابأس . . انه كان فى الحقيقة طيبا نحوك . انه لم يكتف بتربيتك كسيدة ، بل أشرف على مضاعفة نقودك حتى كان المبلغ الاجمالى كبيرا عند زواجنا · . ثم انه لابد ان يترك لك شيئا فى وصيته ·· لقد قال هذا امامى ذات مرة ·
فقالت سيفرين : نعم ·· ذلك المنزل المجاور لشريط السكة الحديد فى (كروا دى موفرا) .. أننا اعتدنا أن نذهب للاقامة فيه أسبوعا أو أسبوعين ، لكنى لا اطمئن الى هذا التفكير ، فان بيرت وزوجها سوف يبذلان كل ما فى وسعهما للحصول على المنزل لنفسيهما ، وسوف ترى · وعلى اية حال فانى افضل الا يترك لى شيئا فى الوصية ·
وخفت نبراتها عن الحدة حتى رفع الغليون من فمه وحدق فيها قائلا :
ـ يالك من بنت مضحكة ! كل انسان يقول انه مليونير ، واذن فلماذا لايترك شيئا لربيبته ؟ مامن احد يستغرب هذا ، ومن المؤكد انه سيفيدنا فائدة طيبة ·
فقالت سيفرين : ـ انظر · . الساعة الان الرابعـــة والربع ، وامامى اشياء اقوم بها ، ويجب الا ننسى موعد قطارنا ·
وفى هذه اللحظة كانا واقفين لدى النافذة ، فاخذها روبو بين ذراعيه برقة وهى مديرة اليه ظهرها ، ومالبث ان وضع ذقنه على منكبها وضم رأسه الى رأسها ، وراحا يتطلعان من النافذة ·
وسرى اليه دفء جسدها الغض فأذكى حواسه ، فشدد عناقه لها ، ولما حاولت ان تتخلص منه برفق وهى تبدى ان الزمان والمكان غير ملائمين جذبها بعيدا عن النافذة

وأوصدها ، وأخذ يغمرها بقبلاته ، ولكنها الان اخذت تقاومه بكل قواها ، حتى جن جنونه ٠٠ ما بالها اليوم مختلفة عما عهده فيها ؟ ماذا دهاها وما كانت تفعل مثل هذا من قبل ؟

وفى هذا الدفع والتمنع طوحت بهما الحركة الى جلسة على حافة الفراش ، فمر بيده على وجهه وكأنما يريد ان يهدئى من سورة عاطفته ، ولما رأته يبذل مجهودا نفسيا الى التمالك والتعقل ، انحنت تقبل خده لكى تريه أنها مازالت تحبه رغم ذلك ، ولبث لحظات لا يبديان حراكا وهما يستعيدان هدوءهما صامتين ٠ وتناول يدها اليسرى وجعل يعبث بخاتمها الذهبى القديم ، وكان على شكل حية ذات رأس مطعم باحجار الياقوت ، وكانت تضعه دائما فى نفس الاصبع مع خاتم الزواج ٠

وخيل اليها انه ينظر الى الخاتم القديم ، واذا شىء يدفعها الى الكلام ، فتقول وكأنما تغمغم لنفسها :

ـ نعم ٠ حيتى الصغيرة ٠ انه اعطانى الخـاتم فى (كروا دى موفرا) هدية فى عيد ميلادى السادس عشر ٠

فتطلع اليها روبو بحدة وقال :

ـ من أعطاك اياه ؟ جرانموران ؟

وأحست به ينظر اليها ، وثابت الى نفسها منتفضة ٠٠ لقـد مست وجنتيها رعدة باردة مفاجئة ، وحاولت أن تجيب ولكن الكلمات استعصت عليهـا ، واستعصت عليها الحركة .

قال : ـ كنت تقولين لى دائما ان امك تركت لك هذا الخاتم ٠

وحتى هذه اللحظة كان بوسعها ان تنفى هذه الكلمات التى تفوهت بها فى لحظة نسيان ٠٠ كان بوسعها ان

تنفيها بضحكة وتتظاهر بأنها كانت متبلدة الذهن ، ولكن بدلا من ذلك فانها فقدت صوابها وحاولت المكابرة قائلة :

ـ لكن ياحبيبى ، انا لم اقل لك أبدا ان أمى تركت لى هذا الخاتم ٠

فجعل روبو يحدق فيها ، وقددب الشحوب الى وجهه هو الاخر ٠ وقال :

ـ ماذا ؟ ٠٠ تقولين انك لمتذكرى لى ابدا ؟ ياللعجب ، لابد انك اخبرتنى بهذا عشرات المرات ٠ وعلى أية حال فماذا يمنع القاضى ان يهديك خاتما ؟ انه اعطاك اشياء كثيرة ، لكن لماذا تخفين هذا عنى ؟ لماذا تقولين انه من أمك ؟

ـ لكنك مخطىء ياحبيبى ٠٠ اننى لم أذكر امى أبدا ٠

كان هذا الاصرار بلاهة منها ٠٠ لقد رأت انها تفضح نفسها تماما ، وان بوسعه ان يقرأ أفكارها ٠٠ الا ليتها تستطيع ان تسترجع خطواتها ، وتبتلع كلماتها ! لكن فات الاوان ٠٠٠ لقد شعرت بالذنب يتجلى فى وجهها ، ولم تملك ان تفعل شيئا حيال هذا ، واختلجت شفتاها بحركة عصبية ٠ اما هو فقد اربد وجهه غضبا وكأن الدم يوشك ان يتفجر من عروقه ومالبث أن أمسك بمعصميهـــاودفع بوجهه الى وجهها لكى يقرأ فى عينيها المروعتين مالم تجسر على أن تبوح به بصوت مسموع وهو يقول :

ـ يا الهى ! يا الهى !

وبدا لها انه سيلطمها ، فحاولت ان تحمى وجهها بذراعها هاهو ذا فى ومضة ، وبحقيقة صغيرة تعسة تافهة ، وكذبة منسية ، قد سطع امامه كل شىء ، واذا هو يقذف بها فى الفراش وينهال عليهابقبضتيه الضخمتين ، وهو الذى لم يضربها طيلة زواجهما ثلاث سنوات حتى باصبعه ! واخذ يقول :

ــ يافاجرة! يافاجرة! انك نمت معه!انك نمت معه !

وانهال عليها بقبضتيه وكأنه يريد أن يدق الكلمات فى لحمها ٠ واشتد اختناق صوته الى حد عجز معه عن التنفس او كاد ٠ وعند ذلك فقط سمع كلمة (لا) تصدر عن جسدها المنهك ٠ كانت الدفاع الوحيد الذى استطاعت ان تفكر فيه ٠٠ لقد لجأت الى الانكار خوفا من أن يقتلها ٠ لكن تشبثها بكذبتها لم يكن من شأنه الا ان يضاعف من جنونه ، فراح يقول :

ــ اعترفى انك نمت معه !

ــ لا ! ٠ لا ! ٠٠

فرفعها من الفراش واكرهها على ان تنظر اليه ٠ فتملصت من قبضته وجرت الى الباب ، ولكنه انقض عليها بوثبة واحدة ، وبضربة وحشية طرحها ارضا وسقط معها ٠ ثم امسك بشعرها وسمرها الى الارض ٠ وظلا برهة متواجهين دون حراك ٠ وفى السكون المخيف سرى من اسفل صوت الضحك والغناء منبعثا من حجرة شقيقتى هنرى دوفرن على نغمات البيانو ــ ذلك وهو يقول لها :

ــ اعترفى انك نمت معه !

واذ لم تجسر على الانكار مرة أخرى ، فانها لم تحر جوابا ٠ فكرر قوله :

ــ اعترفى يافاجرة ، والا انتزعت احشاءك !

كان على استعداد لقتلها ٠٠ انها قرأت هذا فى وجهه ٠ وفى سقطتها لمحت المطواة الكبيرة المفتوحة فوق المائدة ٠ وفى اية لحظة الان يمكنه ان يمد يده لاخذها ، لكنها أضحت الآن لا تحفل بشيء ٠٠ كل ما كانت تريده هو أن تنتهى من المسألة كلها ، فقالت :

ــ لا بأس ٠٠ نعم ، هذا صحيح ٠٠ الان دعنى ٠

ان الاعتراف الذى انتزعه منها بمثل هذه القسوة الشديدة ، عندما جاء ، كان بمثابة لطمة فى وجهه ، وكأنه شيء رهيب ، مستحيل ٠ انه مازال غير مستطيع ان يصدق أن شيئا كهذا وقع حقا ٠ لقد أمسك برأسها وقرعه فى أحد أرجل المائدة ، وعندما قاومت سحبها فى الغرفة من شعرها مرتطما بالمقاعد ٠ وكلما حاولت النهوض ضرب بها الارض من جديد ، حتى خضب الدم والشعر ركنا من أركان دولاب الاوانى ، ذلك ومازالت الموسيقى وضحكات الفتاتين تنساب من اسفل

واسندها الى طرف الفراش ، وبدلا من أن يلطمها ركع فوقها وراح يعذبها بالاسئلة ٠٠ لابد ان يعرف ٠٠ لابد ان يعرف ٠٠ يجب ان يعرف كل شيء ٠

ــ كم كان عمرك وقتها ؟ صغيرة جدا ، اليس كذلك ؟ صغيرة جدا ؟ لم تبلغى حتى العاشرة ، عندما اسلمت نفسك للخنزير ؟ من اجل هذا رباك كأبنته ، حتى يمكنه ان ينغمس فى هذا النوع من القذرات معك ، اليس هذا حصل ؟ تكلمى ، والا حطمتك من جديد ٠

كانت عاجزة عن التفوه بكلمة واحدة من خلال دموعها ، وهكذا رفع ذراعه ولطمها قائلا :

ــ هيا تكلمى ! كم كان عمرك وقتها ؟

لم تعد تستطيع المقاومة ٠٠ ان حياتها ذاتها بدت وكأنها تنزف منها وتنضب ، ولكن الاستجواب مضى بغير هوادة ، وفى بطء راحت تسرد كل شيء ، تسرده فى اشد عار وفزع حتى كانت كلماتها لا تكاد تسمع ، وما كانت كل صورة اتبعثتها الا لتزيد من عذابه وكربه وتضاعف كل غضبه الحيوانى ، ومع ذلك فانه لم يسمع مافيه الكفاية ولابد له ان ينتزع منها كل تفصيل بشع ٠

ــ كم كان عمرك

ـ ستة عشر عاما ونصف

ـ انت تكذبين !

رباه ، ما الذى يدعوها الى الكذب ؟ لقد هزت منكبيها فى اعياء مطبق ٠

ـ والمرة الاولى ٠٠ اين كانت ؟

ـ فى منزل (كروادى موفرا) ٠

هزته انتحابة ٠ كيف يمكنه ان يمضى فى حياته وهذه الصورة المروعة دائما امام عينيه ؟

ـ رباه ٠ هذا مستحيل ٠ هذا مستحيل !

وهزها مرة أخرى وهو يقول :

ـ لماذا بحق الاله تزوجتنى اذن !؟ الا ترين انها كانت حيلة قذرة عندما خدعتنى على هذه الصورة ؟ هناك فى السجون لصوص اخف منك جرما ٠٠٠ هل كنت تحتقريننى ؟ الم تكونى تحبيننى ؟ لماذا تزوجتنى ؟

فابدت اشارة مبهمة ٠٠ هل كانت هى تعرف ؟ لقد سرها ان تتزوجه ، بأمل ان تستطيع التخلص من الاخر ٠٠ هناك اشياء كثيرة جدا لا يريد الانسان حقا ان يفعلها ، ولكنه يفعلها كأخف الضررين ٠٠ كلا ٠٠ انها لم تكن تحبه ، وفى ظروف غير هذه ما كانت لتتزوجه قط ، ولكن ذلك السر ماكانت تستطيع ان تكاشفه به ٠

راح يقول : ـ انه اراد ان يجد مغفلا اعمى مسكينا ٠٠ انه اراد ان يسوى المسألة لكى تتمكنا من الاستمرار رغم كل شىء ٠٠ وقد وجد المغفل ، وتمكنتما من الاستمرار ٠٠ تلك المرات التى ذهبت فيها الى هناك معه ٠ كلامى صحيح ؟

فأومأت برأسها ايجابا ٠ فاستطرد :

وهذا هو السبب فى انه طلب منك اليوم ان تبقى معه مرة أخرى ٠٠٠ ان تتمرغى معه فى القذارة مرة

أخرى ٠٠ وسوف تفعلين هذا ايضا ، مالم اخنقك ٠

وامتدت يداه للاطباق على حلقها ، ولكنها فى هذه المرة واجهته قائلة :

ـ كلا ٠ انت غير منصف ٠٠ اننى انا التى رفضت الذهاب ٠ . انك حاولت ان تجعلنى اذهب وانا التى أظهرت الاستياء فعلا ٠ هل تتذكر ؟ لقد انتهت هذه المسألة . لن يكون لى شأن معه بعد ذلك أبدا ..

ادرك انها تتكلم الحقيقة وان كان ذلك لم يجلب له اقل العزاء ٠٠ ان ماحدث لا سبيل قط الى نقضه ، والالم الملهب الممزق لهذه المعرفة سوف يلازمه على الدوام ٠

وراح يغمغم : ـ فى (كروادى موفرا) ٠٠٠ فى الغرفة الحمراء ٠ ٠ اننى اتذكرها جيدا : ان نافذتها تطل على شريط السكة الحديد ، والسرير فى الجانب الاخر ٠٠ كان هناك ، فى تلك الغرفة ٠٠ لا عجب اذا كان يفكر فى ان يترك لك ذلك المنزل ٠٠ لا شك انك تستحقينه بجدارة ! لا غرابة انه تولى رعايتك واعطاك دوطة كبيرة ٠٠ لابد انها تساوى ماكان ! وقاض ذو ملايين ، ومتعلم جدا ، ومحترم جدا ، وكبير المقام والنفوذ الى أبعد حد ! كم يصاب الانسان بالغثيان عندما يفكر فى هذا ! وضرب صدغيه بقبضتيه وغمغم مرة أخرى :

ـ ماذا انا فاعل ؟ ماذا أنا فاعل ؟

لماذا لم يقتلها ؟ اهو خائف من قتلها ؟ كلا ٠ انما العلة انه ما يزال يحب هذه الفاجرة ٠ واذن فليطردها ولا يراها بعد ذلك .. لكن كلا .. لقد اجتاحه غثيان عندما ادرك انه لا يقوى على ان يفعل حتى هذا ٠

كانت سيفرين ما تزال جالسة فى الفراش ، تراقبه ٠٠ ان المودة الحقيقية التى كانت تكنها له دائما جعلتها ترثى

له الان فى عنفوان كربه ·· لقد كانت على استعداد للصفح عن الكلمات النابية ، بل حتى الضربات لو تأتى لهـا أن تفهم · ما الـذى فعلته انهـا ؟ وهى البنت الصغيرة ، الطيعة المنقادة ، قد خضعت لرغبات رجل كهل ، رتب فيما بعد زواجا معقولا كى يعمل على استقرارها بصورة طيبة ، وكان ذلككلهمنذعهدبعيد ، فلماذا هو غيور على هذا النحو الجنونى ؟ لقد راحت تراقبزوجهاوهويخطو جيئة وذهابا كما تراقب حيوانا فى قفص ، او ربما ذئبا ·· ان روعها هو ان هذا الوحش الذى كانت تسمع زمجرته المكتومة بين وقت وآخر منذ زواجهما ، كان الان طليقا ، متأهبا كى يضرب · فما الذى تستطيع ان تفعله كي تتفادى الضربة !؟

وعندما مر بطرف الفراش مرة أخرى حيث كانت ، استجمعت شجاعتها للكلام وقالت :

ـ لكن أنصت يا حبيبى .. أنت تعرف أننى أنا التى رفضت الذهاب اليه مرة أخرى . لم يكن فى نيتى أن اذهب ابدا ·· انك انت الذى احبه ·

وتشبثت بمعصميه،وشف صوتها عن ملاطفة وتحبب ورفعت اليه شفتيها لكى يقبلها ، ولكنه دفعها عنـه اشمئزازا وقال :

ـ عندما اردتك منذ قليل ، انصرفت عنى ، ولكنك الان تريديننى تفعلين هذا لاستعادتى اليك · تظنين ان هذه هى الطريقة التى يمكنك بها امتلاك الرجل واستبقاءه · لو انى استجبت لك الان ، فان ملمسك سوف يحـرقنى كالحمض الكاوى ·

وارتعد ·· وأومضت فى مخيلته صورتهما وهما فى الفراش معا ، ثم فجأة سطعتفى ذهنه صورة أخرى أتم وضوحا تبدد هذا الكابوس العقلى والجسدى كانتأوكد

وأرسخ ·· لابد ان يموت احد · وهو قد عرف من ذا الذى لابد ان يموت .

قال : ـ لكى استجيب لك من جديد فان هذا يقتلنى ·· اللهم الا اذا قتلته أو . . . لابد لى أن أقتله . . اقتله !.

وعندئذ اخلد الى الصمت ، وكأن هذا العزم قد رد اليه تمالك نفسه ، ثم يمم شطر المائدة متباطئا ، ونظرالى المطواة ذات النصل اللامع ، وبحركة آلية طواها ووضعها فى جيبه.ثم وقف مقطبا تائها فى تفكير عميق وقد تدلى ذراعاه الى جانبيه · ومالبث ان فتح النافذة وكأنما يريد ان يستهدى فى تفكيره بهواء الشفق الرطيب ونظر الى الخارج ، ووقفت سيفرين من خلفه ، محاولة ان تستشف اتجاه افكاره دون ان تجسر على سؤاله ·

بدأ الليل يرخى سدوله ، والفى حركة القطارات فى المحطةالكبيرة على عهده بها دائما ، دائبة لاتنقطع· وسقطت بضع قطرات من المطر من سماء داكنة . . انها ستكون ليلة مبتلة ·

وعندما استدار روبو فى مكانه ، كان عاقدا العزم: لقد اعد خطته ونظر الى الساعة ، وقال :

ـ الخامسة والثلث ·· امامنا وقت كاف ·

ذلك ومازالت سيفرين لا تجسر على سؤاله ، ولكن عينيها القلقتين الملهوفتين لم تفارقاه لحظة · ورأته يتجه الى الدولاب ويخرج قلما وورقا وحبرا وقال لها : سوف تكتبين شيئا ··

ـ لمن ؟

ـ له · اجلسى ·

فتراجعت عن المائدة بحركة غريزية ومازالت تجهل نواياه ، ولكنه دفعها الى الجلوس بقوة غلابة حتى لم

تحاول ان تتحرك • وقال لها :

– الان اكتبى هذا : « اركب قطار السادسة والنصف هذا المساء ، ولا تظهر نفسك حتى تصل الى روان » .

فتناولت القلم ، بيد ان يدها ارتعشت خوفا مما قد تعنيه هذه الكلمات اليسيرة • وعالجت ان ترفع عينيها وتتطلع اليه مبتهلة قائلة :

– أرجوك يا حبيبى .. قل لى ماذا أنت فاعل .. قل لى أرجوك !

فقال بفظاظة : – أكتبى .. هيا ..

ونظر الى عينيها •• لم يعد ثمة غضب الان ، ولا كلمات قاسية ، وانما تصميم مرعب صارم حتى ليكاد يعتصر حياتها ، ويسحق كيانها •

– سوف ترين قريبا ما انا فاعل ، ولابد ان تفعليه معى •. بهذه الطريقة سوف نستمر معا ، وسوف يكون بيننا رباط حقيقى •

فمالت الى الخلف متخوفة وهى تقول :

– لا •• لابد ان تقول لى •• لابد ان اعرف قبل ان اكتب •

فامسك بيدها الصغيرة وعصرها عصرا حتى صرخت الما وانهارت كل مقاومة لديها • فتناولت القلم مرة أخرى وسطرت ماطلب بيدها الموجعة • ولما فرغت قال :

– هذا حسن •• الان نظفى المكان قليلا واستعدى •• سوف اعود اليك لاصحبك •

كان الآن على تمام الهدوء ، وقد سوى ربطة عنقه فى المرآة ولبس قبعته وخرج • وسمعته يوصد الباب بالمفتاح ويخرجه من الباب • فجلست برهة ساكنة فى الظلام ، محاولة ان تتسمع الاصوات المنبعثة من الخارج •• من الغرفة المجاورة التى يسكنها بائع الورق العجوز ،

جاء صوت نباح منتظم ، لعله كلب صغير حبسه صاحبه ، ومن مسكن هنرى دوفرن اسفل منها ، حل محل صوت البيانو رنين الاوانى والاطباق • وفى ضعفها الشديد الذى عجزت معه سيفرين عن الحركة ، جلست مكانها تنصت الى ضحكات الاسرة فى وحشة الليل الذى كان يطبق عليها ويحتويها بلا رحمة •

وكانت الساعة السادسة والثلث عندما دلف روبو وسيفرين الى المحطة ، وفى طريقهما عرجت سيفرين على فكتوار العجوز فى مكان عملها فى استراحة السيدات بالمحطة وردت اليها مفتاح الغرفة • وشقا طريقهما فى زحام المسافرين على رصيف القطار المتأهب يبحثان عن مقصورة خالية فى الدرجة الاولى • ووجد روبو المقصورة الخالية وهم بدفع زوجته الى داخلها ، حين شاهده ناظر المحطة مسيو – فاندروب وهو يمر متفقدا ومعه دوفرن الاب الذى كان يباشر الحاق ركبة اضافية بمقصورة واحدة بالقطار طلب اعدادها فى اخر وقت • فتبودلت التحيات واضطر روبو الى التوقف للتحدث معهما • وقد سألاه اولا عما انتهى اليه موضوع استدعائه امام نائب المدير ، ثم اخبراه بعد ذلك بحادث وقع فى محطة الهافر صباح اليوم • فقد تحطم العمود الموصل فى القاطرة ، وتقرر منح أجازة اضطرارية مدتها يومان لسائق القاطرة جاك لانتييه والوقاد بيكيه الذى يعمل معه ، وهو زوج فكتوار .. ووقفت سيفرين بباب المقصورة تراقب زوجها وهو يتبادل الحديث ويضحك ، وفى هذه اللحظة تحرك القطار الى الخلف بضع ياردات ، فجاء هنرى دوفرن الابن ، وكان حارس القطار وشرح لها ان احد اعضاء مجلس الادارة قد طلب الحاق مركبة خاصة قبل نصف ساعة فقط من موعد قيام القطار •

بلغت الساعة السادسة وسبعا وعشرين دقيقة ، وبقى على قيام القطار ثلاث دقائق . ولم يلبث روبو الذى ظل طول هذه الفترة يراقب الاستراحة أن دفــع بزوجته مسرعا الى داخل المقصورة الخالية وحانت منها التفاتة الى الخلف ، فلمحت قادما متأخرا يقترب على الرصيف وهو لايحمل سوى سجادة سفر صغيرة . وكانت ياقة معطفه الازرق مرفوعة الى وجهه وحافة قبعته مسدلة الى ما فوق عينيه حتى لم يبد من ملامح وجهه فى ضوء غاز الاستصباح المتراقص سوى طرف لحية بيضاء . بالرغم من رغبة المسافر الواضحة فى السير دون أن يلاحظه احد ، فان فاندورب ناظر المحطة ودوفرن الاب تقدما للقائه . اما هو فقد اسرع مارا بهما بايماءة يسيرة جدا واتجه الى المقصورة المحجــوزة بعد ثلاث عربات من مكان سيفرين ودلف اليها مسرعا .. نعم هو جرانموران ولاشك .. وهكذا غاصت سيفرين فى مقعدها مرتعدة .

واخذ موظفو المحطة يقفلون ابواب المركبات .. وقد دهش روبو وتضايق عندما وجد ان المقصورة التى كان يظنها خالية كانت بها فى الواقع امرأة متشحة بالسواد منزوية فى احد اركانها . وفى نفس اللحظة التى اوشك القطار ان يتحرك فيها ، فتح باب المقصورة ودفع المفتش برجل بدين وامرأة ارتميا فوق المقعد يلهثان .

لقد عاد المطر الى الانهمار بعد انقطاع،مغرقا الظلمة التى كانت القطارات تتحرك فى اطوائها رائحة غادية بلا انقطاع ، لا يرى فيها سوى صفوف اضواء النوافذ المتحركة . ثم اعطيت الاشارة وصفر القطار عــاليا مرتين ، ثم اخذ ينساب فى ثنايا الظلام .

● ● ●

الفصل الثانى

عند تقاطع الخطوط الحديدية فى (كروا دى موفرا) يقوم المنزل ملاصقا للشريط حتى ليهتز كلما مر به قطار . والمسافرون المارون بهذا المكان لاول مرة يتذكرونه فيما بعد ، أما المسافرون المتكررو الاسفار فانهم يعدون المنزل من معالم الطريق ، وان كل ما يعرفونه عنه هو مظهره الرث العتيق الموحش ، ونوافذه الموصدة على الدوام ، فما فيه الا ما يدل على الوحدة والاهمال .

والمنزل الوحيد الاخر فى هذه المنطقة الجرداء الموحشة التى تحف بها التلال ، هو كوخ عامل الاشارة حيث يقطع طريق دوانفيل شريط سكة الحديد ، وهو كوخ متهدم تحوطه حديقة صغيرة لزراعة الخضر ، وسياج نباتى ، والمنطقة كلها منعزلة لا تمر بها سوى القطارات ، ونادرا ما يطرقها المارة من الاغراب .

ولكن فى هذا المساء نزل مسافر من قطار فى محطة بارنتان على بعد نحو ميلين ، وأخذ يسير بنشاط فى ظل الشفق الداكن متجها الى (كروادى موفرا) . وكان المسافر ، وهو شاب قوى البنية ، يستحث خطاه وكأنما يريد أن يفلت من وحشة المكان فى عتمة المساء .

وفى حديقة عامل الاشارة كان ثمة فتاة ترفع الماء من بئر . كانت طويلة ضخمة فى الثامنة عشرة ، شقراء الشعر ، غليظة الشفتين ، عسلية العينين . وكانت بعيدة عن الجمال بذراعيها القويتين ، وجذعها الثابت كجذع

فتى . وما أن وقع بصرها على الرجل القادم فى الدرب الموصل الى الكوخ حتى تركت الدلو يسقط ، وركضت الى البوابة منادية :

ــ جاك !

ورفع رأسه الى ناحيتها .. كان فى السـادسة والعشرين ، طويلا، وسيما ، أسود الشعر ، لا ينال من ملامحه المنتظمة سوى فكه القوى . وكان محياه الحليق وبشرته الرقيقة يسبغان عليه مسحة السيد ، لولا تلك العلائم الثابتة الدالة على مهنتـه ، وهى بقع الشحم المتخلفة على يديه اللتين تقودان القطار .

ورد عليها قائلا : ــ أهلا يا فلور !

كانت تعلوه مسحة حياء يؤلم ، وعيناه الواسعتان تنصجان بتعبير غريب مبهم . وقد ارتد عن البوابة بحركة لا ارادية .

أما هى فقد وقفت شامخة ، تنظر اليه مواجهة .. كانت تعرف هذه الرجفة التى تعتريه كلما اقترب من امرأة ، وكانت تحيرها وتحزنها . وسألها ان كانت أمها فى الداخل ، مع انه يعرف انها مريضة ولا تخرج قط ، فأومأت الفتاة ايجابا ، وأفسحت له مسافة يمر دون أن يلمسها ، ثم عادت الى البئر وهى شامخة برأسها .

وأسرع جاك يجتاز الحديقة الصغيرة ودخل المنزل .. كانت العمة فازى فى المطبخ الكبير الذى يمضون فيه نهارهم ويأكلون ، جالسة وحدها فى مقعد الخيزران المخصص لهاقرب المائدة ، وقد لفت ساقيها بشال عتيق . كانت بنت عم أبيه ، ووالدته بالتبنى أيضا ، وقد كفلته وهو فى سن السادسة ، عندما تركه ابواه الى باريس . وفى الوقت الملائم أرسلته الى الكلية الفنية ، وهو مدين لها بهذا ، حتى كان يقول لكل انسان انه اذا كان قد نجح

وتقدم فى حياته ، فانما ذلك بفضلها . وقد عمل سنتين فى خط سكة حديد باريس اورليان ، ثم أصبح سائقا من الدرجة الاولى فى هذا الخط الغربى . والان وقد عاد لزيارة العمة فازى ، فقد ألفاها متزوجة مرة ثانية من عامل اشارة يدعى ميزار ، ومعهما ابنتاها من زوجها الاول . بل لقد وجد العمة فازى ، التى كانت فى سن الخامسة والاربعين ضخمة وقوية ، وقد بدت وكأنها فى سن الستين ، ظاهرة النحول والشحوب ، مضعضعة البنية بتأثير نوبات الشلل الارتجافى التى تعـاودها باستمرار .

وما أن رأته حتى هتفت سرورا :

ــ جاك ، هذا أنت حقا ، يا بنى الجميل ! ؟ لكن يالها من مفاجأة سعيدة ! فقبل وجنتيها ، وذكر لها انه نال أجازة اضطرارية مدتها يومان بسبب كسر عمـود التوصيل فى قاطرته صباح اليوم وهى تدخل محطة الهافر ، وانه لن يعود الى العمل الا فى موعد قطار السادسة والاربعين مساء اليوم التالى . ولهذا فقد فكر فى المجىء لرؤيتها ، وقضاء الليل فى المنزل ، ثم يغادر محطة بارنتان بقطار السابعة وخمس وعشرين صباحا . وتناول يديها الهزيلتين وأخبرها انه تكدر كثيرا لما جاء برسالتها الاخيرة اليه .

شكرته العمة ، وراحت تبثه شكواها المريرة .

قالت انها ندمت لزواجها من ميزار ، ذلك الرجل الهادىء المظهر ، السىء الطوية ، وما كان يجب أن تتزوجه ومعها ابنتاها .

قالت انه بخيل الى أقصى حد ، ولو اقتصر الامر على هذا لهان الخطب ، ولكنه طامع فى الالف فرنك التى نالتها من أبيها ، وهو لايكف عن البحث عنها فى كل مكان ، رغم

انها خبأتها فى موضع لا يمكن أن تصل اليه يده ، مهما طال به البحث والتنقيب .

واختتمت العمة فازى شكواها قائلة بلهجة مؤثرة :

ـ اندرى ياجاك ماذا فعل أخيرا؟انه يدس لى السم.

فأجفل جاك ، ولما حانت منه التفاتة الى النافذة حيث شاهد فى كشك الاشارات القريب ميزار وهو منهمك فى عمله . لم يتمالك أن اعترت وجهه تلك النظرة الغريبة المبهمة التى ظللته كسحابة . على انه قال يسرى عنها :

ـ يالها من فكرة يا عمتى ! ان مظهره يدل على انه شخص مسالم لا يؤذى .

على ان هذه العبارة زادتها حدة ، واسترسلت فى شكواها المريرة ، فلم يقطعها الا سؤال من جاك حين رأى من النافذة فلور وهى تفتح بوابة المزلقان لمرور عربة نقل بها كتل حجرية ضخمة من المحجر المجاور ، اذ قال :

ـ هل كابوش مريض ؟ انى أرى ابن عمه يقود العربة هذه الليلة .. مسكين كابوش .. هل تشاهدينه كثيرا هذه الايام يا عمتى ؟

فرفعت العمة فازى ذراعيها وتنهدت ـ لقد حدث شىء مروع فى الخريف الفائت ، زاد من سوء حالتها ، فان ابنتها الصغرى لويزيت كانت تعمل خادمة لدى مدام بونون أخت القاضى جرانموران فى دوانفيل ، وذات ليلة هربت وبها رضوض شديدة وفزع جنونى ، والتجأت الى كوخ صديقها القديم كابوش فى قلب الغابة ، وفى ذلك المكان توفيت . وانتشرت اشاعات فيما حولهم تقول ان جرانموران حاول افساد الفتاة ، ولكن ما من أحد تجاسر على ترديدها علانية ، والعمة فازى نفسها ، وان كانت لديها فكرة قوية عما حدث ، فانها كانت تفضل اجتناب الموضوع ، اما الان فقد قالت :

ـ لا .. ان كابوش لا يأتى الى هنا أبدا الان .. انه تحول الى ناسك .. مسكينة لويزيت ـ انها كانت طفلة حلوة ، وكانت تحبنى جدا ، وكانت ترعانى ، أما فلور أنى لا أشكو ، لكننى أحيانا أظن أنها ليست سليمة العقل .. انها تختفى أحيانا ساعات طويلة ، وهى شديدة العناد ، سيئة الطبع . وهذا يحزننى كثيرا .

وبينما كان جاك ينصت اليها ، راح يتابع بنظراته سائق عربة النقل الذى كان الان يعبر شريط سكة الحديد . وما لبثت العمة فازى ان عادت الى الكلام فى موضوعها المفضل ، الصحة .. صحتها ، وصحة الاخرين ايضا، فقالت له :

ـ هل أنت بخير هذه الايام يا جاك؟ هل تتذكر تلك الاعراض التى كانت تلم بك عندما كنت معنا ، والتى لم يستطع الطبيب أن يعرف كنهها .. ؟

فعادت تلك الومضة الغريبة العصبية الى يمينه، وقال:

ـ انى بكل خير يا عمتى.

ـ هل ذهبت عنك تلك الالام المخيفة فى رأسك من الخلف، ودورات الحمى المفاجئة، ونوبات الانقباض التى كانت تجعلك تهرب وتختفى؟

وبينما كانت تتكلم كان يزيد قلقا ، حتى قاطعها قائلا :

ـ أؤكد لك يا عمتى اننى بكل خير .. لا شىء عندى الان .. لا شىء بتاتا .

ـ الحمد لله يا بنى جميل منك أن تزورنى .. وسوف تتناول العشاء معنا ، أليس كذلك ؟ ثم تنام فى غرفة السطح ، بجانب غرفة فلور .

وقبل أن يجيب ، سمعا صوت ميزار وهو يتحدث الى رجل فى الخارج . لقد حل الظلام الان ، ودقت الساعة

السادسة ، وكان ميزار يسلم عمله الى عامل الاشارة الليلى ، فعاد الخوف الى العمة فازى ، وهمست :

— انه سيدخل بعد دقيقة ..

— ولكن فلور دخلت قبله : أضاءت مصباح الزيت ، وأخذت تعد المائدة وهى ترسل نظرة جانبية الى جاك الذى كان واقفا قرب النافذة . وكان فوق الموقد أناء به حساء الكرنب يسخن منذ فترة وبينما كانت فلور تنقله الى الاطباق أقبل ميزار ، فلم يبد عليه الدهش حين شاهد الشاب ، وقد أخبره جاك عن الخلل فى القاطرة فأومأ برأسه وكأنه فعل خيرا بحضوره • وجلسوا الى المائدة وأخذوا يأكلون فى تراخ وصمت ، وقبلت العمة فازى التى لم ترفع نظرها طول النهار عن اناء الكرنب طبقا من الحساء • ولكن عندما نهض زوجها لكى يناولها دواء ماء الحديد الذى نسيت فلور أن تقدمه لها ، لم تشأ أن تلمس قطرة منه • وبدا ان ميزار الضعيف الخجول الذى يسعل على الدوام لا يهتم بها فى مراقبتها لكل حركاته ، ولم ير جاك فى الرجل الضئيل شيئا يوجب الاشتباه . وقدر أن عمته لابد تتصور أوهاما فى مخيلتها • ثم نفخ البوق فى كشك الاشارة وخرجت فلور للمساعدة ، وجلست أمها والرجلان الى المائدة وأمامهما زجاجة من الشراب • وأخيرا نهض ميزار ووضع قلنسوته على رأسه وخرج هو أيضا ليتفقد خيوط الصيد فى جداول الماء المجاورة : وهى هوايته المفضلة • وما أن غاب من الغرفة حتى التفتت العمة فازى الى جاك وقالت مرتعدة والعرق يتفصد فوق جبينها :

— أؤكد لك انه يدس لى السم ، ولذلك لم أقبل شيئا من يده .. انى احتملت هذه الليلة ما فيه الكفاية ، وأظن أن الوقت حان لنومى • ولهذا فانى أقول لك مع السلامة يا

جاك ما دمت ستذهب مبكرا • •• تعال زرنا مرة أخرى ، وأرجو أن ترانى وأنا ما زلت هنا •

وكان عليه أن يساعدها حتى غرفتها ، حيث دلفت الى الفراش ونامت على الاثر وقد برح بها الاعياء والجهد • وعندما بقى جاك وحده خطر له أن يأوى الى مضجعه فى غرفة السطح بين التبن ، لكن الساعة كانت تناهز الثامنة فقط ، ولهذا قرر أن يخرج بعض الوقت ، وترك المصباح مضاء فوق المائدة .

لقد أدهشه أن يجد الطقس مازال على اعتداله ، ولكن المطر لا يلبث أن يسقط مرة أخرى فى أغلب الاحتمالات ، فان السحب البيضاء كانت تكسو أديم السماء وتحجب البدر فى تمامه ، ولكن ضياءه الذهبى كان يتسرب وينتشر حتى بدت التلال والاشجار ذات أشكال غريبة خفية • ودار جاك حول حديقة الخضر ، وعندئذ لاح له المنزل المهجور قائما فى الجانب الاخر من شريط سكة الحديد •• كان يعرفه جيدا ، وطالما شاهده من مكانه فى قاطرته ليزون ، ولسبب ما كان المنزل يبهره دائما وكأن له معنى خاصا بالنسبة اليه • انه لم يشهد قط بابا أو نافذة مفتوحين فيه ، وكل ما كان يعرفه عنه هو انه ملك للقاضى جرانموران • وهذه الليلة هى ولاشك فرصته لمشاهدته عن كثب •

اجتاز الخط ووقف برهة أمام البوابة الحديدية متطلعا محاولا أن يعرف ما وراءها • ان مرور الخط الحديدى أمام المنزل قد يخلف جانبا من حديقته الامامية فلم يترك سوى رقعة أزهار ضيقة يحدها سور مبنى ، ولكن من خلف المنزل امتدت رقعة أرض فسيحة يحف بها سور نباتى • لقد بدا المنزل فى ضوء القمر المعتم موحشا مقبضا ، حتى لقد سرت فى جسده رعدة وهم أن يعود

أدراجه ، عندما لاحت منه التفاتة الى فتحة فى السياج النباتى • ان تخوفه من الدخول بث الشجاعة فى نفسه ، وهكذا اندفع يجتاز الفتحة وقلبه يدق عنيفا • وفجأة، بينما هو يخطو بحذر قرب كشك نباتات صغير مهجور، اذ سمره فى مكانه مشهد شبح جالس القرفصاء قرب الباب ، ولم يلبث ان عرف فيه شبح فلور •

قال لها :

— عجبا هذا أنت ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

انها مثله قد أجفلت برهة ، بيد انها قالت بهدوء :

— يمكنك أن ترى أننى آخذ هذا الحبل • انهم تركوا كوما كبيرا منه هنا ، وسوف يبلى اذا لم يستعمله أحد ، ثم اننى أحتاج دائما اليه ، ولهذا أجىء وأقتطع جزءا •

كانت جالسة على الارض وبيدها مقص كبير ، وكانت تفك الحبل وتقص العقد أحيانا .

فقال جاك : — آلا يأتى المالك الى هنا ؟

فضحكت ، وقالت : — بعد مسألة لويزيت، لا خطر من أن يظهر القاضى وجهه لاحد فى (كروادى موفرا) .

فصمت عندما تذكر تلك المسألة المروعة ، ثم قال :

— هل تصدقين ما قيل على لسان لويزيت ، من انه حاول أن ينالها ، فأصيبت فى أثناء المقاومة ؟

— طبعا أصدق •• ان لويزيت لم تكذب ، وكذلك كابوش •• انه صديق لى •

— ربما كان يحبك ؟

— لا •• انه مجرد صديق ، فليس لى عشاق ، ولا أريد أن يكون لى •

ثم قالت ونظراتها مركزة فيما بين يديها :

— وانت ؟ ما هو موقفك ؟

هنا جاء دور جاك فى أن يبدو جادا ، فقد أخفى عينيه

وبدا كأنه يفكر فى شىء بعيد جدا ، وما عتم أن قال :

— لا •• لا حبيب لى •

— سمعت دائما انك تكره النساء •• انى عرفتك زمنا طويلا جدا ، ولم أسمع منك كلمة واحدة طيبة عن أية امرأة منا ، ولست أعرف السبب •

ولما لم يجب ، تركت العقدة التى كانت بيدها وتطلعت اليه قائلة :

— هل صحيح ما يقولون ، من انك لا تحب سوى قاطرتك ؟ يقولون انك تمضى كل وقتك فى تلميعها ، حتى تبدو براقة جميلة •• انى أتكلم بهذه الكيفية لاننا أصدقاء •

ولم يلبث أن تطلع اليها •• لقد تذكرها وهى طفلة : كانت سريعة الغضب قوية الارادة ، ولكن عندما كانت تشاهده كانت تندفع نحوه وتطوق عنقه بذراعيها متحببة • وفيما بعد ذلك كان يغيب عنها فترات طويلة ، وكلما عاد كانت تبدو أكثر نموا ، ولكنها كانت دائما تحييه بنفس الكيفية ، حتى كان بريق عينيها يثير ارتباكه • أما الان فقدأصبحت امرأة ، كالثمرة الناضجة المشتهاة ، ولا ريب انها مازالت تحبه بنفس أسلوب الشباب الذى عهده منها ، وفى هذه اللحظة أدرك فجأة انها تنتظره الان، وانها تريده ، فشعر بقلبه يخفق بسرعة كبيرة ، واندفع الدم الى رأسه •• كان حافزه الاول هو أن يجرى ، ان الرغبة العاطفية كانت دائما تثير جنونه الى حد يفقده كل سيطرة على نفسه، والان قد استحوذ عليه غضب عنيف •

قالت له : — لماذا تقف ؟ تعال واجلس مرة ثانية •

تردد ، وشعر بركبتيه ترتجفان، ثم تهالك بجانبها، وشعر بتيبس شديد فى حلقه حتى انه لم يقو على الكلام•

والان كانت هى ، تلك التى عهدها دائما ذات كبرياء وصمت ، قد أخذت تسترسل فى الكلام ،

ـ لابد أن تعرف أن الغلطة الكبرى التى ارتكبتها أمى كانت زواجها من ميزار . ان هذا الزواج لن يكون منه خير أبدا .. اننى سئمت متاعبها .. وكلما سمعتنى اقول شيئا تقول لى: اذهبى الى الفراش .. ليكن عليها ان تباشر أمرها بنفسها .. اننى أمضى معظم وقتى فى الخلاء، أفكر فيما سيحدث بعد ذلك . ولقد رأيتك هذا الصباح وأنت تمر فى داخل قاطرتك .. كنت جالسة خلف تلك الشجيرات هناك ، لكنك لاتنظر الى أبدا .. سوف يأتى يوم أقول لك فيه الاشياء التى أفكر فيها ـ فيما بعد، عندما نصبح أصدقاء حقيقيين من جديد .

وتركت المقص يسقط فى حجرها وهى تتكلم ، فتناول يدها بين يديه دون أن ينطق ، ولكنه عندما رفعهما الى شفتيه المضطربتين ، جذبتهما بعيدا برد الفعل الغريزى لعذراء . وقالت :

ـ لا .. ليس هذا .. لنتكلم بهدوء .. اننى أعرف أن هذا هو ما يفكر فيه جميع الرجال .. كان يجب أن تسمع ما قالته لى لويزيت يوم وفاتها .. وفى الحقيقة فانى كنت قد سمعت أشياء عن ذلك القاضى العجوز البهيمى . كانت هناك أفعال كثيرة قذرة عندما اعتاد أن يأتى الى هنا بالفتيات الصغيرات . هناك واحدة على الخصوص لم يشك فيها أحد ، وقد عمل على تزويجها .

ولكن جاك لم يكد ينصت لما كانت تقوله: لقد ضمها اليه فى عناقة عنيفة ، وراح يسحق شفتيها بشفتيه ، فأرسلت صرخة احتجاج خافتة دلت فجأة على مدى ما كانت تكنه له من حب طوال ذلك الوقت . ورغم هذا فان غريزة ما أبت عليها أن تستسلم . وظل الاثنان برهة

يتسارعان ، وكلاهما يحاول أن يقهر الاخر ، وبدا لحظة كأنه يضعف ، وأنها ستفوز فى الصراع . الى أن أمسك بحلقها وطرحها .

لكنه الان تراجع وهو يشهق طلبا للتنفس، ووقف ينظر اليها وقد ملاه غضب جذونى .. لابد له أن يقتلها . وفى نوبة المس الجنونية التى سيطرت عليه، تلفت حوله التماسا لسلاح ، لحجر ، لاى شىء .. ثم حانت منه التفاتة الى المقص يبرق بين كوم الحبال، فاختطفه، وكاد يغمده فى صدرها العارى ، لولا ومضة عقل فجائية كالفولاذ البارد أمسكت يده، فقذف بالمقص مرتاعا، واندفع بعيدا عنها وهى ماتزال ممددة مغمضة العينين، تظنه صد عنها بسبب مقاومتها له .

انشأ يركض بعنف فى ظلمة الليل ووحشته ، مرتقيا دروب التلال حينا ، وهابطا متخبطا فى وهادها حينا آخر ، هائما على وجهه هنا وهناك بين الشجيرات والنباتات البرية ، حتى ألفى نفسه أخيرا فى بقعة مكشوفة مسطحة . ومن هذه البقعة أخذ يهبط سفح التل حتى أتى فجأة الى السور الممتد على طول شريط سكة الحديد . وفى هذه اللحظة مر به قطار يدوى ويتوهج، حاملا تلك الكتل البشرية التى لانهاية لها ، بينما انكمش على نفسه مكانه فى تعاسة بالغة . وبعد برهة رأى انه لا يبتعد كثيرا عن نفق السكة الحديد الفاغر فاه المظلم .

لقد نزفت كل قوة فيه، وانطرح بجانب الشريط وقد دفن وجهه فى الاعشاب، ينتحب تشنجا، أواه يا الهى! اذن فقد عاد اليه ذلك العارض السيىء الذى حسب أنه شفى منـــه ! انه منـــذ لحظات أراد أن يقتل فلــور . ان كلمات (اقتل امرأة) كانت تدوى فى أذنيه يتردد صداها من أحلام المراهقة المظلمة . وكما أن الفتيان الاخرين

حينما يبلغون الحلم ، يحلمون بامتلاك امرأة ، فانه هو قد استحوذت عليه رغبة ملهوفة لقتل امرأة ٠٠ انــه لا يستطيع الان أن يخدع نفسه ٠٠ انه التقط المقص بغرض صريح هو اغماده في لحمها ، بعد أن رأى صدرها الابيض الدافيء . . انه أراد أن يقتلها ، لا لانها قاومته ولكن ببساطة لانه أراد القتل ، اراد القتل بأشد استماتة الى حد انه لو لم يطبق يديه الان على خصلات الحشائش الطويلة ، لعاد اليها وشق حلقها ٠٠ نعم ، فلور ، التي راقبها وهي تكبر وتترعرع ، والتي صارحته الان بأنها تحبه ! لم يتمالك أن غرس أصابعه في الارض ، منتحبا في يأس مروع ٠

ولم يلبث أن حمل نفسه على الهدوء ٠٠ محاولا أن يفهم ٠ ما ذلك الذي جعله مختلفا عن غيره من الرجال ؟ ما كنه ذلك الوحش الهائج في أعماقه ؟

انه يتذكر المرة الاولى التي حدث فيها هذا ٠٠ كان وهو يناهز السادسة عشرة يلعب مع فتاة صغيرة عندما وقعت على الارض ، وجعله مشهد ساقيها يندفع مهتاجا نحوها ٠ وفي اليوم التالي ، يتذكر انه شحذ مدية بقصد اغمادها في عنق فتاة شقراء صغيرة كانت تمر بباب منزله صباح كل يوم ٠ ومنذ ذلك الحين كانت هناك كثيرات غيرها ، كأنهن موكب في دياجير كابوس ٠٠ نساء تصادف ان كان يلتقي بهن في الشارع ٠٠ نساء يقفن بجواره مصادفة . . وذات مرة اضطر الى مغادرة مسرح في أثناء تمثيل أحد الفصول ، لكي يمنع نفسه من قتل المرأة الجالسة بجواره التي كانت تضحك عاليا ٠ كلهن كن غريبات عنه ، واذن فما هو وجه الشكوى منهن ؟ كل مرة كان ما يعتريه أشبه بنوبة غضب أعمى مفاجئة ، حاجة معاودة ملحة للانتقام من مظالم منسية . . أيمكن

أن يمت هذا بصلة الى مظلمة قديمة ، ارتكبتها امرأة في حق رجل ، منذ قرون ماضية ؟ لقد شعر برأسه يكاد ينفجر من فرط الجهد الذي يبذله لكي يفهم هذا كله ٠

ومرق قطار آخر بجانبه كالشهاب وابتلعه النفق فوثب جاك على قدميه وخنق عبراته ، وكان جحافل المسافرين المجهولين يمكن أن يسمعوه ٠ أنه كثيرا ما كان عقب كل نوبة تعتريه ينقض كالجاني لدى اقل صوت ٠٠ انه لا يشعر بالسكينة الا في قاطرته مستغرقا في عمله ، منعزلا عن الدنيا كلها ، ولهذا كان يحب القاطرة كانها العشيقة المواسية الملاطفة التي تجلب وحدها السكينة الى نفسه ٠ لقد آثرمهنة سائق القطار على غيرها لانها تهييء له العزلة والنسيان ٠ أنه لن يتزوج قط فان مستقبله الوحيد في القاطرة ٠٠ أنه لا يشرب الخمر ، ولا يجري وراء النساء – وهو نموذج للسائق المثالي ، وأحيانا كان زملاؤه يتهكمون عليه لفرط صلاحه ، واحيانا أخرى كان يساورهم القلق عليه عندما تنتابه تلك الحالات النفسية الغريبة . وفي غرفته الصغيرة في باريس المطلة على حظيرة قاطرات باتينول ، كان يغلق الباب على نفسه ويعتكف كأنه ناسك في صومعته ، ساعيا الى اغراق نوازعه الخفية بين جدرانها .

لقد حاول الان أن يتمالك ويسيطر على نفسه ٠٠ ما الذي يفعله الان هنا ، طريحا بين الحشائش في هذه الليلة الرطبة ؟ لابد أن الساعة تقارب التاسعة ، ومن الخير له أن يعود ليأوي الى فراشه ٠ وعند ذلك تخيل نفسه وقد عاد الى بيت ميزار ، وصعد الى السطح واستلقى بين التبن مجاورا لغرفة فلور ، لا يفصلها عنه سوى قاطع خشبي رقيق . انها ستكون هناك . ويمكنه أن يسمع تنفسها ٠٠ أنه يعرف انها لاتوصد بابها قط،ما

من شيء يمكن أن يمنعه من الدخول اليها ، أو يحول دون قتلها ، .. لا .. لا .. خير من هذا أن يمضى ليله هائما على وجهه بين التلال ، على أن يعود الى هناك ! وهكذا وثب قائما وجعل يسير مسرعا فى الظلام . لابد له أن يمضى فى تجواله الى مالا نهاية لكى ينسلخ عن نفسه ، ولكى يبتعد عن الوحش المجنون الذى بين جنبيه . ولكن ايغما ولى وجهه ، فان الوحش ما كان يفارقه أبدا .

وافاق لنفسه وهو عند مدخل النفق ، وعندئذ سمع دمدمة بعيدة ، كانت تتعالى كل ثانية .. أنه قطار السادسة والنصف السريع المتجه من باريس الى الهافر ، القطار الذى يمر فى هذه المنطقة فى التاسعة والخامسة والعشرين ، والذى يقوده هو شخصيا مرتين فى الاسبوع .

والان لم يلبث حلق النفق ان توهج كانه فوهة فرن ضخم . ثم قصفت القاطرة بصوتها المدوى كالرعد ، ومرقت خارجه كالشهاب العظيم ، وأضواؤها الكاشفة تشق حجاب الظلام وتحيل القضبان الى خط مزدوج من لهب . واندفع خط المركبات الطويل بما فيها من مسافرين كانت أشكالهم بادية فى نوافذ المقصورات الباهرة الضوء .

وعندئذ رأى جاك .. رأى فى طرفة عين وفى وضوح ، رجلا مطبقا على رجل آخر فى مقعد ، وهو يغمد مدية فى رقبته .. وكانت ساقا الرجل المطعون المتخبطتان — يحجبهما جسم قاتم ممكن أن يكون شخصا آخر او قطعة كبيرة من الامتعة سقطت من الرف .. ثم مالبث القطار أن ذهب مندفعا فى اتجاه (كروا دى موفرا) .

وقف جاك مسمرا فى مكانه يراقب المصابيح الثلاثة

الحمراء الخلفية وهى تختفى فى الظلام ، وهدير القطار يخفت شيئا فشيئا حتى تلاشى فى أطواء السكون المطبق .. ترى هل أبصر حقا ذلك الذى ظن أنه أبصره ؟ ان المشهد قد جاء وذهب فى طرفة عين ، فكيف يمكن أن يتأكد أنه كان شيئا واقعا ؟ لم يكن لديه انطباع واضح عن بطلى هذه الدراما .. ان الجسم القاتم يمكن ببساطة أن يكون سجادة سفر سقطت فوق ساقى الرجل الممدد .. وبدا له لحظة انه لمح وجها شاحبا من تحت كتلة من الشعر الاسود .. ان الصورة جعلت تطالع مخيلته برهة وهى واضحة ، ثم تغيب برهة أخرى وهى مطموسة ، ثم لا تلبث أن تختفى كأنها حلم .. لا بد أنه تخيل المشهد كله .. لابد أنه نوع من الهذيان تولد عنده بتأثير التجربة المروعة التى مر هو بها وكابدها .

ومضت ساعة أخرى وهو يهيم على وجهه مشدوها . ان التأزم قد فارقه الان — وجاءت بعد الحمى قشعريرة قارسة البرد ، ودون أن يفكر فى أى طريق كان يسلك ، ألفى نفسه فجأة لدى كوخ عامل الاشارة .. كان خيط رفيع من الضوء ينبعث من أسفل الباب ، وعندما دخل فوجيء برؤية ميزار جالسا القرفصاء على الارض وبجانبه مصباح . كان قد أزاح جانبا برميل الزبد الكبير وراح ينقر على الجدار بمفاصل أصابعه ، ولما سمع صوت فتح الباب رفع رأسه ، دون أن يشعر بادنى ارتباك ، بل اعاد البرميل الى مكانه ، وقال بصوت هادىء عادل :

— ان الكبريت سقط منى عندما جئت لاخذ المصباح ، فقد رأيت منذ لحظات وانا آت الى هنا ، شخصا ملقى على الشريط .. أظن أنه ميت

أدرك جاك أنه فاجأ ميزار وهو يفتش عن نقود العمة

فازى ٠٠ اذن فانها كانت على حق ، ولكن ما ذكره ميزار من الجثة طرد كل أفكار أخرى من ذهنه ، وتذكر ما شاهده فى القطار ٠ وقال وهو ممتقع الوجه :

ـ جثة على الشريط : أين ؟

ـ على مسافة نحو خمسمائة ياردة من هنا لابد أن ناخذ ضوءا اذا أردنا أن نعرف ماذا حدث ٠

ـ سأذهب معك ٠٠ هل تظن انها حادثة ؟

ـ فى الغالب ٠٠ شخص مسكين دهمه القطار ٠ أو ربما سقط احد من القطار ٠

راح جاك يرتعد ، وقال :

ـ هيا بنا اذن ٠٠ أسرع ٠٠ عجل !

لم يشعر قط فى حياته بمثل هذه الحاجة الملحة للنظر ٠٠ لكى يشاهد اذا ٠٠ لقد جعل يسير وكأنه فى سباق ، بينما تبعه ميزار على مهل دون ادنى انفعال ، والمصباح يهتز فى يده .. ان جاك كان مرتاعا ممايمكن أن يجده ، ومع ذلك فقد راح يجرى بكل قواه لملاقاته ، وفجأة تعثر أو كاد فى جسم أسود ملقى بجانب الخط ٠ فوقف مكانه وكأنما انتابته صدفة شلت حركاته ٠٠ لكن لم يستطع أن يبصر بوضوح وبدأ يلعن ولم يتمالك أن استدار خلفه يسب ميزار الذى كان يسير الهوينا على مسافة نحو ثلاثين خطوة خلفه .

ـ بالله تحرك يارجل ! اذا كان على قيد الحياة ، فقد يمكننا أن نساعده !

فجاء ميزار متباطئا وارسل ضوء مصباحه الى الجثة ٠٠٠ كان رجلا ، وقد سقط ووجهه الى الارض على مسافة لا تبعد أكثر من قدمين من الشريط وقد انفرج ساقاه ٠ ٠٠ وكان ذراعه الايمن مدلى وكأنه نزع نزعا من مفصله ، بينما كان ذراعه الايسر مسمرا تحت صدره ٠٠

وكل ما كان باديا من رأسه هو دائرة من شعر أبيض فى بركة من الدم ٠

قال ميزار بعد أن حدق فى الجثة صامتا :

ـ انه شخص جاءه قدره المقسوم ٠٠ يجب الا نلمسه ٠٠ هذا ممنوع ابق انت هنا معه وسأذهب لابلاغ ناظر المحطة فى بارنتان ٠

ووضع المصباح بجانب الجثة وذهب بخطواته المتمهلة ٠

وعندما بقى جاك وحده ، ذهب يحدق فى الجثة الهامدة ٠٠ اذن فان الرجل الذى أبصره الرجل الذى كانت بيده المدية ، كان حقيقة واقعة ، وقد فعل فعلته ٠٠

احس جاك برغبة جامحة لتقليب الجثة والنظر الى الجرح الذى أحدثته الطعنة ، حين شعر بصوت قربه جعله ينتفض .. كانت فلور واقفة فوق رأسه تنظر الى الجثة .. كانت تستهويها دائما مشاهد الحوادث ، تسمع بمداهمة أى قطار لحيوان او انسان حتى تهرول للمشاهدة والتحرى ٠٠ ولم تلبث أن رفعت المصباح وانحنت فوق الجثة وادارت رأسها ٠

فقال لها جاك : ـ احترمى مما تفعلين ! يجب عدم اللمس حتى يصل البوليس ٠

فهزت منكبيها ٠٠٠ لقد سقط ضوء المصباح المصفر على وجه رجل عجوز ذى أنف كبير ، وكانت العينان مفتوحتين على سعتهما ، ومن أسفل الذقن انفتح جرح مخيف ، وكان جانب الصدر الايمن كله مخضبا بالدم ، وفى الجانب الاخر بدت شارة وسام جوقة الشرف ، وكأنها هى الاخرى قطعة دم انسكبت حول العروة .

قالت فلور :

ـ ياللعجب ! انه الرجل العجوز !

فانحنى جاك لكى يدقق النظر ، واختلط شعره

بشعرها . ولم يتمالك أن شهق مصعوقا بالمنظر الذى
أمامه ، وردد كلماتها بطريقة آلية قائلا :

ـ الرجل العجوز ... الرجل العجوز !

ـ جرانموران العجوز ... القاضى !..

ووقفت برهة تنظر الى الوجه المكفهر ، ذى الفم الملتوى
والعينين المتسعتين المروعتين . ومالبثت أن تركت الرأس
يسقط .. أن تيبس الموت بدأ يحل بالجثة ، وقد سقط
الرأس على الارض مغلقا فتحة الجرح .

قالت الفتاة : ـ لا بأس .. لن يكون هناك عبث مع
الفتيات الصغيرات بعد الان .. اراهن أن هذا له صلة
بموضوع فتاة أيضا .. عندما أفكر فى لويزيت
المسكينة .. ياللخنزير ! .. انه نال ما كان يستحقه !

خيم صمت طويل . . ووضعت فلور المصباح على
الارض ووقفت تراقب جاك .. كانت الجثة بينهما ، ووقف
هو مشدوها بما شاهده ، وبعد الذى حدث فى مستهل
المساء لم يرغب فى أن يتكلم اولا . ولكن أصوات ميزار
وناظر المحطة بدأت تنبعث فى هذه اللحظة . وقالت فلور
وهى لا تريد أن يراها أحد :

ـ الا تعود لكى تنام ؟

فنظر اليها ، غير متأكد مما يجيب به . ثم وماعتم أن
ابتعد عنها وقال :

ـ لا ... لا ... لن أعود .

فلم تبد حركة ولكن كتفيها المهدلين شفا عن خيبة
أملها . ثم قالت وكأنما تلتمس لنفسها العذر لانها
استعصمت عليه فى أول الليل :

ـ الن تعود الينا نهائيا اذن ؟ الن اراك بعد الان ؟

ـ كلا .

وزادت الاصوات اقترابا . ولما كان قد بدا وكان جاك

جعل الجثة حائلا بينهما فانها لم تحاول ان تصافحه ولا
حتى أن تودعه بطريقتها الصبيانية المعهودة وانما
استدارت واختفت فى الظلام .

ووصل ناظر المحطة مع ميزار واثنين آخرين من رجال
السكك الحديدية . وتعرف هو ايضا على الجثة .. كان
هذا هو القاضى جرانموران ، مافى ذلك شك . انه كثيرا
ماشاهده ينزل من القطار فى محطته فى طريقة لزيارة
شقيقته فى دوانفيل . وقد غطى الجثة بحرملة جاءبهاأحد
الرجال ، وأمر بتركها حيث هى . وكان قد أوفد رجلا الى
روان لابلاغ المحقق ولكن ليس من المحتمل أن يصل قبل
الخامسة أو السادسة صباح غد ، اذ لابد له من استقدام
موظفين آخرين وطبيب . وهكذا رتب ناظر المحطة أن
يتولى أحد الرجال حراسة الجثة طول الليل .

ذلك ومازال جاك واقفا يراقب مايجرى . ولما فكر بعد
ذلك فى أن رجال القانون قادمون أقلقته مشاعر مبهمة
قوامها التأثم والشعور بالتبعة ... هل ينبغى عليه أن
يخبرهم بماشاهده عندما مر القطار أمامه ؟ كانت
خواطره الاولى هى أن هذا واجب عليه . ومهما يكن
فليس له ، ما يخشاه من هذا ، وهو على أية حال واجب
محتم .. ومالبث أن ساءل نفسه أى جدوى من
الكلام .. ؟ أنه لن يستطيع ابراز حقيقة واحدة محددة ،
ولن يستطيع أن يقدم تفصيلا دقيقا عن القاتل ، ومن
الغباء أن يورط نفسه فى الامر ، فيفقد ساعات عمل ،
ويستهدف بشتى الانفعالات ، ولا يخدم أحدا .. كلا ..
من الخير أن يمسك لسانه .

وأخيرا سار مبتعدا بخطى وانية ، ومرتين نظر خلفه
الى مكان الجثة المكومة على الارض فى دائرة ضوء
المصباح المصفر . وفى هذه الاثناء كان هواء بارد يسرى

فى الاقليم الموحش تحت سماء كساها الضباب • وكانت القطارات تمر غادية رائحة وهى تدرج بركابها الى وجهاتهم البعيدة مدفوعة بقواها الغلابة الدائبة ، لا يثنيها ولا يعنيها فى شىء أن تمددت قرب طريقها جثة رجل نصف مفصول الرأس قتله رجل آخر •



الفصل الثالث

فى صباح اليوم التالى ـ يوم الاحد ـ دقت ساعات الهافر معلنة الخامسة عندما هبط روبو من مسكنه فوق استراحة المحطة لكى يباشر عمله • كان الوقت لا يزال مظلما وفى المحطة كانت أضواء غاز الاستصباح تلوح خافتة فى هواء بكرة الصباح البارد الرطب وكان القطار الاول المتجه الى مونتفييه يجرى اعداده تحت اشراف مولان • زميل روبو فى الوردية الاخرى . وكانت أبواب المحطة لم تفتح بعد ، والارصفة خلو من الحركة •

وفيما كان روبو يخرج من غرفة لمح مدام لوبليه زوجة الصراف فى الممشى الرئيسى الذى تطل عليه مساكن موظفى المحطة •• لقد ظلت مدام لوبليه مدى أسابيع وهى تستيقظ ليلاً للتجسس على مدموازيل جيشون الموظفة فى المكتب اذ كانت ترتاب فى أنها على علاقة بناظر المحطة مسيو دبادييه ، وان لم يتوافر لديها أقل دليل على ذلك • وفى هذا الصباح استطاعت مدام لوبليه فى غضون الثوانى الثلاث التى استغرقها روبو فى فتح باب غرفته واغلاقه خلفه ، استطاعت وهى فى دهشة أن تلمح سيفرين زوجة روبو مستيقظة ، بل مرتدية ملابسها أيضا ، مع أنه كان من عاداتها الا تستيقظ قبل الساعة التاسعة . وجدت مدام لوبليه فى هذه الظاهرة شيئا هاما يبرر أيقاظ زوجها . وكانا ملهوفين لمعرفة نتيجة استدعاء روبو أمام نائب مدير الشركة ظلا ساهرين ينتظران حتى موعد وصول قطار باريس السريع فى الساعة

الحادية عشرة وخمس دقائق ، بيد أنهما لم يعرفا شيئا ، فقد جاء روبو وزوجته وهما فى حالتهما العادية . وحتى منتصف الليل كانا يرهفان سمعهما دون طائل ، اذ لم ينفذ اليهما صوت من خلال الحائط الفاصل ولابد أن الزوجين أويا الى مضجعهما على الاثر .. ومع ذلك فقد بدا وكأن هناك شيئا ما ، بوجود مدام روبو مستيقظة ومرتدية ملابسها فى هذه الساعة غير المعتادة .. لا بأس .. لعل الساعات القادمة تكشف لهما عما هناك ..

وفى المحطة ذهب روبو لكى يخلف مولان فى الوردية ، فحدثه زميله عن مجريات العمل ، وجعل روبو ينصت اليه صامتا — وان بدا شاحب الوجه متثاقل العينين ، بتأثير احداث أمسه الطويل ولاشك .

وسار الرجلان معا على رصيف المحطة حتى وصلا الى المنطقة المكشوفة . وكان هناك الى اليمين حظيرة تودع فيها المركبات ليلا . وفى ضوء أحد المصابيح الغازية جعل روبو يحدق فى مركبة درجة أولى رقمها ٢٩٣ ، عندما قال له مولان فجأة :

— نسيت أن أقول لك أن هذه المركبة يجب الا تستخدم .. لا تلحقها بقطار السادسة والاربعين هذا الصباح .

فلم يستطع روبو أن يسيطر على حركة فجائية بدرت منه ، ولكنه سأل بصوت طبيعى :

— صحيح ؟ ولم لا ؟

— لانه مطلوب حجز مركبة كوبية مقفلة بقطار المساء ، ونظرا لاننا لا يمكن أن نتأكد من وصول مركبات أخرى اليوم ، فلابد لنا من الاحتفاظ بهذه المركبة .

فنظر روبيه الى مولان بهدوء واكتفى بأن قال: مفهوم.

وعمد روبو الى تغيير موضوع الحديث تماما ، فقال مهتاجا :

— انه لشىء يثير الاشمئزاز أن يهمل هؤلاء الاوغاد نظافة المركبات .. ان هذه المركبة تبدو وكأنها لم تنظف منذ أسبوع .

فقال مولان : — نعم .. فعندما تصل القطارات بعد الحادية عشرة مساء ، لا توجد فرصة لتنظيفها ، وانها لمكرمة اذا تفضل عمال النظافة بالتعطف عليها بنظرة. ومنذ ليلتين فقط استغرق أحد المسافرين فى النوم ، ولم يلاحظه أحد ولم يستيقظ الا فى الصباح !

وتثاءب مولان ثم قال :

— لا بأس .. أنا ذاهب للنوم .. الى اللقاء .

ولما صار روبو وحده على الرصيف اتجه الى قطار مونتفيبيه . فى هذا الوقت كانت الاستراحة قد فتحت ، وأخذ المسافرون يتوافدون . وانهمك روبو ساعة كاملة فى الاشراف على قيام القطار الاول ، والقطارات التى تتابعت بعد ذلك ، فلم يجد وقتا للتفكير فى شىء آخر حتى كانت الساعة السادسة ، حين هدأت الحركة ، وخرج فترة الى الشارع يستنشق الهواء النقى ملء رئتيه .

لقد بدأ النهار يطلع ، وأخذت مداخن المصانع تنفث دخانها ، وسرى دبيب الحركة والنشاط آتيا من ناحية أرصفة الميناء . ولكن سرعان ما فارقه هدوؤه عندما عاد الى داخل المحطة ووجدهم يحركون المركبة رقم ٢٩٣ ، فصاح فى العمال غاضبا :

— دعوا هذه المركبة بالله ! دعوها وشأنها .. انها لن تسافر الا فى المساء !

فبين له رئيس العمال أنهم يحركونها فقط للوصول الى المركبة التى خلفها ، ولكنه لم يستمع لهم فى نوبة السخط

التى انتابته ، اذ صاح :

ــ يامغفلين » ألم يقل لكم أحد ألا تلمسوها ؟

وعندما استطاعوا أن يفهموا الموقف أخيرا ، نقل سخطه الى نظام العمل وتخبط الموظفون ، حتى لقد عجبوا من تغير حالته اليوم ، وهم الذين لم يعهدوه من قبل بمثل هذا الاهتياج ·

على أنه عاد بعد ذلك الى السيطرة على أعصابه ، وانهمك مرة أخرى فى الاشراف على حركة القطارات حتى كانت الساعة الثانية ، وجاء مسيو دبادييه ناظر المحطة فى موعده المعتاد ، فأطلعه روبو على حركة العمل ·

كان دبادييه شابا وسيما أنيق الملبس ، وهو فى مظهره أقرب الى رجال الاعمال · وكان يحب أن يكل شئون المسافرين الى مساعديه الاثنين ، لكى يتفرغ هو الى حركة نقل البضائع الضخمة من أرصفة الميناء ؛ لما يهيىء له هذا العمل من توثيق الصلات بعالم التجارة العليا ·

واسترعى نظر روبو برقية على مكتب الناظر فيما بين أوراق العمل ، فلم يتكلم حتى يتيح له فرصة فتحها والاطلاع على مضمونها · لكنه لم يكن متعجلا ، ولبث برهة يتحدث مع روبو فى مودة مطمئنا منه على ما انتهى اليه موضوع استدعائه بالامس أمام نائب المدير ، بينما كان روبو فى خلال ذلك يجاهد للسيطرة على اختلاجة عصبية فى فمه ، وقال له دبادييه :

ــ أنت تعرف أنه يسرنا أن تبقى دائما معنا هنا ·

ــ وأنا مسرور أكثر ببقائى معك ياسيدى ·

وعندما قرأ ناظر المحطة البرقية كان هناك عرق يسير على وجه روبو . ولكن رد الفعل الحاد الذى كان ينتظره لم يحدث . فان الناظر بعد أن قرأ البرقية تركها جانبا ، والظاهر انها لم تكن بذات أهمية ، ومضى روبو فى اطلاع

الناظر على حركة العمل حتى صرفه فى النهاية ·

كانت الساعة الآن الثامنة وخمسا وثلاثين دقيقة ، ولم يكن أمام روبو من عمل حتى موعد وصول قطار الساعة التاسعة والخمسين . فأخذ يتجول هنا وهناك وهو شارد الفكر ، لايدرى على وجه التحديد أين يذهب ولا ماذا يفعل ، عندما القى نفسه فجأة أمام المركبة رقم ٢٩٣ مرة أخرى · فتحول عنها من فوره الى حظيرة القاطرات ، وان لم يكن ثمة عمل يعنيه هناك ·· كانت الشمس تبزغ فى السماء ، وامتلا الهواء بغبار ذهبى دقيق ، لكن بهاء الصباح لم يعد يطيب له ، فاستحث خطواته محاولا ملء فترة الانتظار بالعمل ، أو التظاهر بالعمل ·

وفجأة ناداه صوت :

ــ صباح الخير يامسيو روبو ! هل رأيت زوجتى ؟

كان بيكيه الوقاد ، زوج فكتوار العجوز ، وهو رجل متين البنية فى الثالثة والاربعين ، أحمر الوجه يخالطه غبار الفحم ، له ضحكة رجل يستمتع بدنياه ·

قال له روبو : ــ هذا أنت يا بيكيه ! نعم ، طبعا ، نسيت ان قاطرتك وقع لها حادث ، أليس كذلك ؟ واجازة اربع وعشرين ساعة .. فرصة طيبة !

فقال الرجل ومازالت به بقية من سكرة الليلة الماضية ·

ــ الحقيقة أنى تمتعت بوقتى ·

كان بيكيه يهدف فى حياته الى أن يرتقى من وقاد الى سائق قطار ، ولكن فوضى معيشته وادمان السكر والجرى وراء النساء حالت جميعا دون تحقيق هدفه · بل كان يمكن أن يفقد عمله لولا رعاية القاضى جرانموران له ، واعتياد الجميع لمساوئه التى عوضها بروح المودة وطول خبرته فى العمل . وهو لم يكن بغيضا الا عندما يكون

سكرانا ، وفى هذه الحالة كان يميل الى العنف ٠
وسأل مرة ثانية ووجهه ينبسط بابتسامة عريضة :
ـ وزوجتى ؟ هل رأيتها ؟
فأجاب روبو : ـ نعم ، ووجدناها على ما يرام ٠ بل اننا تناولنا الغداء فى حجرتكم هناك ٠٠ انها كريمة طيبة القلب يا بيكيه ! ٠٠ وقد حان الوقت لكى تصبح زوجا مخلصا لها !
فقال بيكيه ضاحكا : ـ ربما كنت على حق ٠٠ لكن الفتاة العجوز هى التى تريد منى أن أفعل ما أفعل !
وكان هذا صحيحا . فان فكتوار البدينة الطيبة التى كانت تكبره بعامين ، كانت تتحفه بالنقود لكى يمتع نفسه حيثما يشاء ٠ والان قد أصبحت حياته مرتبة أتم ترتيب ، بعد ان صارت له امرأة عند نهايتى الخط ٠ وكانت فكتوار التى تدخر ولا تنفق على نفسها الا القليل ، تعرف كل شىء ، وتعامله كأم ، وتقول انها لا تريد أن تضايقه عندما يذهب الى امرأته الثانية ٠ بل كانت عند ذهابه تحرص على أن تعطيه قميصا نظيفا ، اذ كان يحزنها أن تتهمها المرأة الاخرى فى الهافر بأنها لاتعنى (برجلهما) كما يجب ٠
قال روبو ردا على كلامه :
ـ واذا صح أنها تفعل هذا ، فانه ليس من الصواب ٠ أنت تعرف أن زوجتى تحب فكتوار جدا وهى ساخطة عليك من أجلها !
وصمت روبو عندما رأى فيلومين ، المرأة المعنية ، خارجة من المخزن ٠٠ كانت طويلة مسطحة الصدر ، ذات وجه مستطيل وصوت كصهيل الفرس ٠ وكان يقال انها تعاقر الشراب ٠ وكانت حجرتها الصغيرة قرب حظيرة القاطرات معروفة لكل موظفى المحطة . وقد تشاجرت

معها سيفرين من باب المجاملة لفكتوار ، وكانت تتجاهلها عندما التقت بها ٠
ولم تلبث أن قالت فى قحة :
ـ أراك فيما بعد يا بيكيه . سأتركك مع مسيو روبو ، لان عند زوجته الكثير من النصائح والمواعظ لك ٠
قال بيكيه وهو يضحك ضحكته القلبية :
ـ لا ٠٠ لاتذهبى ٠٠ انه يمزح فقط
ـ لا يمكن أن أنتظر ٠٠ معى بيضتان سأعطيهما لمدام لوبليه ٠
انها تعرف العداء المستحكم بين سيفرين ومدام لوبليه ، وقد ذكرت اسم هذه الاخيرة عمدا ، وكانت تجاهر دائما بعلاقتها الودية مع مدام لوبليه زوجة الصراف لكى تغيظ سيفرين ٠
على انه بعد ذهابها غير روبو موضوع الحديث قائلا:
ـ اذن لن تسافر قبل هذا المساء ؟
ـ نعم ٠٠ ان القاطرة ليزون لن يتم اصلاحها قبل ذلك . انهم يعملون الان فى عمود الربط ، وأنا فى انتظار سائقى الذى سافر فترة الاجازة ٠٠ هل تعرف جاك لانتييه ؟
كان روبو يفكر فى شىء آخر ، لكنه تمالك فجأة وأجاب :
ـ جاك لانتييه السائق ؟ نعم أعرفه ، ولكن عن طريق التحية فقط ٠٠ يقولون أنه ماهر فى عمله ٠٠ والان الى اللقاء يابيكيه اذ لابد لى من الاشراف على أشياء كثيرة ٠
كانت الساعة تدق مؤذنة بالتاسعة وهو يعود الى داخل المحطة ، وسار حتى مكتب البضائع وهو يتلفت حوله طول الوقت وكأنه يبحث عن شىء ، على انه ما لبث أن عاد أدراجه وراح يسير فى الاتجاه المضاء وهو يتطلع

الى جميع الاتجاهات . فى هذه الساعة كانت المحطة ساكنة هادئة ، والناس من حوله قليلون ،والشيء الوحيد الذى لم يكن ساكنا ولا هادئا هو نفسه .. ان هذا الهدوء غير العادى كان يثقل على أعصابه ، واذا كان الكشف عن الاوراق » مقدرا أن يأتى قليات بالله سريعا .. انه لا يستطيع أن يسيطر على أعصابه .. ان عينيه لم تفارقا ساعة المحطة قط . وكان من عادته أن ينتظر حتى قطار التاسعة والخمسين قبلما يصعد الى مسكنه لتناول وجبته الاولى ، ولكنه اليوم وهو يعلم أن سيفرين أيضا جالسة على الجمر ، فقد اعتزم أن يصعد اليها مباشرة .

فى نفس هذه اللحظة بلا تقديم ولاتأخير،كانت مدام لوبليه تفتح باب غرفتها عند حضور فيلومين بالبيضتين . وقد مر بهما روبو مسرعا والمفتاح فى يده وهما تحملقان به صامتتين . وفيما هو ينسل بسرعة من باب مسكنه لمحتا سيفرين جالسة فى مقعدها وهى تبدو شاحبة، ويداها مشبكتان فى حجرها .

كانت الخصومة المتزايدة بين أسرتى لوبليه وروبو عن المساكن . فان الطابق الاول كله فوق استراحة المحطة كان مخصصا لسكنى الموظفين . كان فى وسطه ممشى واسع مدهون باللون الاصفر كما فى الفنادق . تفتح على جانبيه أبواب بنية اللون . وكان الفارق الكبير هو أن الغرف التى على الجانب الايمن ذات نوافذ تطل على أشجار الدردار العتيقة فى حوش المحطة ، ومن خلال الاشجار يبدو مشهد جميل للطبيعة فيما وراء تلال انجوفيل . أما الغرف التى على الجانب الايسر فكانت نوافذها المقبوة تطل على سقف المحطة ذى الحديد المجلفن والزجاج المتسخ ، الذى يحجب الرؤية تماما . وما من

شيء كان يبدو مبهجا أكثر من الجانب الاول ذى الحركة المتصلة فى فناء المحطة ، والاشجار المخضرة ، والريف الطلق . وبنفس القدر ما من شيء كان يبدو مقبضا مميتا أكثر من الجانب الثانى ، حيث لا يكاد ينفذ ضوء النهار، ولا يبين من السماء سوى رقعة صغيرة ، وكأنه سجن . كانت أسرة لوبليه تشغل الجانب المبهج ، حيث كانت أسرة روبو أولى بهذا الحق ، وقد ظلت الامور حينا تسير هينة رفيقة ، ولم تنفس سيفرين على جارتها أن تستأثر بالجانب المبهج وان تكون لها الاولوية ، من كانت تكبرها بعشرين عاما ، وكانت معتلة الصحة . وما كانت الحرب لتعلن بين الاسرتين الا نتيجة لثرثرة فيلومين ، وكانت فى هـذه اللحظة بالذات تقول لمدام لوبليه :

ـ هل تعرفين أنه كان من السهل جدا عليهم أن يحاولوا القاءك من مسكنك عندما كانوا فى باريس؟ قيل لى أنهم كتبوا رسالة طويلة الى المدير متمسكين بحقهم .

فقالت مدام لوبليه وهى تكاد تختنق :

ـ أولاد الشياطين ! أنا متأكدة أنهم يفعلون كل ما فى وسعهم لضم فتاة المكتب جيشون الى صفهم ايضا .انها لا تكلف خاطرها للسلام على هذه الايام الاخيرة .. هذا شيء جميل فى الحقيقة ، أليس كذلك ؟ لكننى أراقبها .. وسوف ترين .

ثم خفضت صوتها لتقول لفيلومين أنها متأكدة أن ناظر المحطة يزور جيشون كل ليلة .. ان مسيو دباديه الارمل الذى له ابنة بعيدة فى المدرسة الداخلية هو الذى جاء بهـذه المرأة الشقراء ذات الثلاثين ربيعـا للعمـل هنـا . ومهمـا يكن من حقيقـة أمرهـا فان من المستحيـل ضبطهـا لانهـا رواغة متملصة كسمكة . ولو كانت وحدهـا لمـا كانت لهـا أهمية تذكر،ولكن بعلاقتها مع ناظر المحطة فانها تكتسب طابع

الاهمية ، والشىء الاساسى هو ضبطها متلبسة ·· وعندئذ تصبح تحت رحمتهم ·

وقالت مدام لوبليه تؤكد عزمها :

ـ سوف أكشف سرها فى النهاية ، وسوف ترين · اننى لن أسكت على الضيم أمام أى انسان ·· نحن هنا ، وسنظل هنا ·· ان جميع الاشخاص الذين لهم وزن هم فى صفنا ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

والواقع أن كافة العاملين فى المحطة كانوا يجدون طرافة كبرى فى هذه الخصومة الحادة المزمنة حول موضوع السكن ، وكانوا ينقسمون منحازين ، وخاصة اولئك الذين يقيمون فى نفس الممشى · وكان الاستثناء الوحيد فى هذا هو مولان المساعد الثانى لناظر المحطة ، الذى كان متزوجا امرأة منطوية على نفسها تنجب له مولودا كل عشرين شهرا أو نحو ذلك · وعلى أية حال قد كانت غرفته فى الجانب المبهج ، وهكذا كان سعيدا خلى البال .

وقالت فيلومين فى الختام :

ـ لكن تذكرى هذا ·· ان روبو وزوجته لهما أصدقاء ذوو نفوذ ، كما نعلم جميعا ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

وشفعت هذا بأن قدمت البيضتين الى مدام لوبليه، قائلة أن الدجاج باضهما هذا الصباح فقط ، فشكرتها العجوز بسخاء ، واختتمت هى الاخرى قائلة :

ـ لماذا لا تأتين أوقاتا أكثر لكى نتبادل الحديث ؟ أنت تعرفين أن زوجى يبقى طويلا فى مكتبه ، وأنا لا أستطيع التنقل بسبب حالة ساقى · يعلم الله ماذا يكون حالى اذا انتزع أولئك الملاعين هذا المنظر منى !

وفى الساعة التاسعة والعشرين هبط روبو الى المحطة مرة أخرى للاشراف على حركة القطار التالى · ورغم

تصميمه على تمالك أعصابه قد ألفى نفسه يلوح بيديه كثيرا ، ويروح ويغدو ويتلفت على الدوام محدقا هنا وهناك على الرصيف . لكن مادام لا يحدث شىء ·· ثم فجأة حدث شىء .. فمن خلفه ، سمع صوت أحد عامل التلغراف يقول لاهثا :

مسيو روبو هل رأيت الناظر أو الملاحظ فى أى مكان معى برقيتان لهما وانى أبحث عنهما منذ عشر دقائق .

فالتفت روبو وهو متصلب الى حد انه لم تختلج عضلة واحدة فى وجهه ورأى البرقيتين فى يد عامل التلغراف ومن ملامح الرجل عرف أن الازفة أزفت أخيرا والقدر وقع على أنه قال بهدوء :

آه مسيو دباديه .. نعم انه كان هنا منذ بضع دقائق .

الان وقد جاءته الازمة فانه لم يكن فى وقت ما أصفى ذهنا ولا أوفر ثقة .

ـ أنظر ها هو ذا مسيو داباديه قادم !

واقترب ناظر المحطة ، وقرأ البرقية الموجهة اليه ثم هتف :

ـ انها من المفتش فى روان ·· هناك جريمة قتل على الخط

فقال روبو : ـ لعله ليس واحدا من رجالنا ؟

ـ لا ·· انه احد المسافرين ·· ان الجثة القى بها من على شريط عند نفق ماهونى · انه احد اعضاء مجلس ادارة شركتنا ، واكثر من هذا وهو القاضى جرانموران ·

فقال روبو : ـ القاضى ! رحماك يا الهى ! ·· ان زوجتى سوف تنزعج بصورة شنيعة عندما تسمع الخبر ··

لقد بدا شديد الانشغال الى حد أن دباديه نظر اليه ثم قال :

— نعم . بالطبع .. انتم تعرفونه .. انه شخص طيب جدا ، اليس كذلك ؟

والتفت الى البرقية التى كانت موجهة الى ملاحظ بوليس سكة الحديد ، وقال :

— لابد ان هذه البرقية مرسلة من المحقق ، بشأن الاجراءات المعتادة ولا شك . ولما كانت الساعة هى التاسعة والنصف فقط ، فان مسيو كوش ليس هنا بالطبع .. ارسلوا احدا الى اكافيه دى كويرس لكى يستدعيه .. انه موجود هناك مؤكدا .

ووصل مسيو كوش بعد خمس دقائق ، كان ضابطا سابقا فى الجيش ، وكان يعد وظيفته الحالية من قبيل وظائف المعاش .. ولم يكن يظهر فى المحطة قبل العاشرة ، وعندما يحضر كان يتجول فيما حوله قليلا ثم يعود الى المقهى. ولكن هذا الاستدعاء الذى جاءه بين دورين من لعب الورق ، كان مفاجأة شديدة له ، لان أكثر الحالات التى كان يباشرها كانت موضوعات تافهة .

اجل .. كانت البرقية من قاضى التحقيق لاشك فى ذلك . وفى الحال ذهب عنه الاستياء الذى انتابه اول الامر لاقلاقه على هذه الصورة ، وحل محله اهتمام بالغ يليق بما للقضية من خطورة غير عادية . ثم تملكته فكرة مخيفة فجأة : ان المركبة موضوع التحقيق لابد انها غادرت الهافر قبل الان ، واذن فان التحقيق سوف يفلت من يديه اخر الامر .

لكن روبو طمأنه قائلا :

— لا . انها لا تزال موجودة فى المخزن . ان عربة كوبيه خاصة قد طلب حجزها لهذا المساء . وهى هناك .

وتقدم والباقون يتبعونه ، وكان النبأ قد انتشر الان واخذ موظفو السكة الحديدية ينسلون من اعمالهم لكى

يشاهدوا ما يحدث ، وسرعان ما احتشد جمع كبير .

وعندما وصلوا الى المركبة قال مسيو دباديه :

— المفروض انها فحصت فى الليلة الماضية ، ولو كانت توجد بها آثار لابلغوا عنها

فقال كوش : — سوف نرى فى الحال

وفتح باب المركبة وصعد اليها . وما لبث أن هتف مجفلا :

— يا الهى ! يكاد الانسان يظن أن خنزيرا قتل هنا !

فسرت موجة من الهلع فى المشاهدين واستطالت الاعناق لكى تبصر ، وارتقى مسيو دباديه سلم المركبة بينما دفع روبو رأسه الى الامام ليبدو مثل الباقين .

وفى داخل المقصورة لم يتغير شىء : كانت النوافذ مغلقة ، وبدا كل شىء فى موضعه الملائم . ولكن رائحة مخيفة كانت تنبعث من الباب المفتوح ، وفوق احدى وسائد المقعد تجمدت بركة من الدماء . كانت غزيرة الى حد أن جانبا منها انسكب فوق البساط :

قال ناظر المحطة غاضبا :

— اين الرجال الذين قاموا بالفحص فى الليلة الماضية ؟ احضروهم الى هنا فى الحال !

ولكنهم كانوا بين الموجودين .. وقد تقدموا نحوه وهم يغمغمون معاذيرهم .. لا يستطيع احد ان يرى جيدا فى الليل .. انهم تحسسوا الوسائد وفتشوا فى كل مكان ، وبوسعهم ان يقسموا انه لم تكن ثمة رائحة هنا فى الليلة الماضية .

وكان كوش فى داخل المقصورة يدون مذكراته . وما لبث أن نادى روبو الذى كثيرا ما دخن معه سيجارة على رصيف المحطة عندما لم يكونوا مشغولين .

- هل تأتى الى هنا لحظة يا مسيو روبو ؟

فخطا روبوفوق البساط حتى لا يسير فوق بركة الدم ، بينما قال له كوش :

- يا مسيو روبو .. ألم يكن هذا هو القطار الذى عدت فيه من باريس ؟ ربما كان بامكانك أن تخبرنا شيئا عن الموضوع ؟

فلم يجب روبو بضع ثوان .. انحنى لكى ينظر الى البساط مرة اخرى . ثم اعتدل وقال بصوته الطبيعى ، الاجش النبرات :

- نعم . سأقول لك .. كانت زوجتى معى . واذا كان ما أقوله سوف يظهر فى التقرير الرسمى ، فأظن أن الافضل ان تحضر معنا لكى نراجع انطباعاتنا معا ،

بدأ هذا الطلب معقولا فى نظر مسيو كوش،وقد تطوع بيكيه ، الذى وصل منذ هنيهة ، بأن يذهب لاستدعاء مدام روبـو .

وجاءت سيفرين تبدو عليها أمارات الهدوء .. وكان عليها ان تتقدم مسافة فوق الرصيف والانظار تراقبها ، بيد أنها لم تضطرب .. كانت ممسكة بمنديلها الى عينيها ، لتبدى عميق حزنها على المتوفى الذى كان بالغ الكرم حيالها . وكان شعرها الاسود يلمع فى ضوء الشمس ، اذ انها رغم البرد لم تنتظر لوضع قبعة على رأسها .. وكانت صورتها مؤثرة حين بدت وعيناها الزرقاوان الرقيقتان مفعمتان حزنا والدموع تتـلالا فيهما .

وهنا همست فيلومين فى أذن مدام لوبليه :

- لاغرابة انها تبكى ! ان ورطتها ستكون كبيرةبموت راعيهما المحسن !

ووقفت سيفرين فى وسط الحشد تواجه باب المقصورة المفتوح ، فخرج كوش مع روبو الذى بدأ يذكر مايعرفه:

- حالما وصلنا الى باريس صباح امس ذهبنا لمقابلة مسيو جرانموران . اليس كذلك ، يا عزيزتى ؟ حوالى الحادية عشرة والربع ، ألم يكن كذلك

ونظر اليها بامعان فراحت تكرر بهدوء :

- نعم . الساعة الحادية عشرة والربع .

ولكنها لمحت الوسادة المخضبة بالدم ، فـارتجف صوتها ، وانفجرت باكية . وقد تأثر ناظر المحطـة ببكائها ، فسارع بالتدخل قائلا :

- سـيدتى اذا كان كل هذا كثيرا عليك .. اننـا فى الواقع نقدر عظيم حزنك

فقال ملاحظ البوليس : - اننى اود ان اسمع من السيدة بضع كلمات اذا امكن ، ثم نوصلها بعد ذلك الى حجرتها

واسترع روبو يروى قصته ، قائلا :

- اننا تحدثنا فى هذا الموضوع او ذاك ، ثم اخبرنا مسيو جرانموران انه سيسافر اليوم للاقامة عند شقيقته فى دوانفيل . وعندئذ سمع أننا سنغادر باريس مساء الامس ، وأبدى انه سيسافر معنا ويأخذ زوجتى للاقامة عند شقيقته فى دوانفيل بضعة أيام ، كما كانت تفعل من قبل، لكنها كانت مشغولة بجملة اشياء ، ولذلك قالت له انها لا تستطيع ذلك .. اليس هذا صحيحا يا عزيزتى ؟

- نعم . قلت له انى لا استطيع الذهاب

- وهكذا سافرنا مساء أمس ، وقبل ان اركب القطار تبادلت بعض الحديث مع مسيو فاندرب ناظر محطة سان لازار ، ولم اشاهد شيئا خارجا عن المألوف . وقد تضايقت لانى كنت اظن اننى وزوجتى وحدنا فى المقصورة

ثم وجدنا سيدة جالسة فى الركن · وبعد ذلك صعد فى آخر لحظة رجل وزوجته وفى محطة روان نزلنا لاراحة ارجلنا ، فمن ذا الذى شاهدناه عندئذ ؟ انه لم يكن سوى مسيو جرانموران واقفا بباب مقصورة تبعد عن مكاننا بثلاث أو أربع مركبات وتحدثت معه وبدأ يقـــول لى أنه تلقى برقية عاجلة ، لكن الصفارة انطلقت ، وكان علينا أن نعود الى مقصورتنا ؛ والواقع كنا وحدنا فى ذلك الوقت ، بعد أن نزل المسافرون الآخرون ، وهو ماطاب لنا ·· هذا كل شيء ، اليس كذلك ياعزيزتى ؟

ـ نعم ·· هو كل شيء ·

ان هذه القصة الصريحة تركت اثرها فى المستمعين ·
وعندئذ قال ملاحظ البوليس :

ـ هل انت متاكد انه لم يكن هناك احد فى المركبة مع جرانموران ؟

ـ نعم · كل التاكد

سرى بين الحشد دبيب قلق ·· ان هذا يبدو غريبا فى الواقع · اذا كان الرجل العجوز وحده ، فمن ذا الذى امكنه ان يقتله ويلقى جثته من القطار بعد مسافة تبلغ نحو ثمانية أميال ؟

غمغم مسيو كوش قائلا : ـ شيء غير عادى ·

وقال مسيو دبادية : ـ غير عادى جدا ·

كان الجميع يتطلعون الى روبو ·· كانوا يتوقعون بيانات اوفر ·· بعض تفاصيل منسية يمكن ان تلقى الضوء على القضية ·· لم يكن ثمة ادنى اتهام فى ملامح جميع هذه الوجوه ، ومع ذلك توهم وجود بوادر ارتياب غامض ، ذلك النوع من الارتياب الذى يتوقع ان تتحول به احيانا نقطة تافهة الى حقيقة مؤكدة .

واستطرد روبو يقول بعزم :

ـ وشيء آخر انا متاكد منه ، هو ان القطار السريع الذى لا يتوقف فيما بين روان وبارنتان كما تعلمون ، كان يسير بسرعته الطبيعية ، ولم الاحظ شيئا خارجا عن المعتاد ·· ولما كنا وحدنا فانى انزلت النافذة وانا ادخن سيجارة .. وكنت أنظر منها طول الوقت ولم أسمع شيئا غير عادى .. مجرد جلبة القطار .. وفى محطة بارنتان رأيت مسيو بسيير الذى حل محلى ناظـــرا للمحطة هناك ، وقد جاء الى ناحيتى وتبادل معنـــا بضع كلمات .. أليس كذلك يا عزيزتى ؟ انا واثق أن مسيو بسيير سوف يؤيد هذا اذا فكرت فى سؤاله .

فقالت سيفرين وهى شاحبة وجامدة :

ـ نعم · يمكن ان يقول ذلك ·

لا بأس مادام هناك من شاهدهما فى المقصورة فى محطة بارنتان ، فمن المحتمل ان يرتاب فيهما احد ·· ان ظلال الشك التى توهم روبو انه لمحها فى اعين الواقفين قد تلاشت ، ولكن حيرتهم زادت فـان القضية يشتد غموضها · وعاد ملاحظ البوليس الى الكلام ، فقال :

ـ هل انت متاكد تماما من انه لا يمكن لاحد دخول مقصورته فى روان بعد ان تركته ؟

وهنا رأى روبو عينى زوجته تتسعان كانما من قبيل التحذير فراح يقول :

ـ حسنا ·· لا يمكننى ان اجزم بهذا ، طبعا ·· اظن انه كان بوسع احدهم ان يدخل ·· ان مسافرين كثيرين كانوا فى القطار لحضور الاحتفال بتدشين الباخرة الجديدة هنا فى الهافر ·· وكان ركاب الدرجتين الثانية والثالثة يحاولون الدخول الى مقصورتنا ·· كان هناك صياح وزحام كثير والاضاءة فى محطة روان خافتـــة سيئة ·· وانى الان عندما افكر فى الموضوع ، فاظن انه

من الممكن ان احدهم دخل فعلا فى آخر لحظة ·· اظن ان هذا هو الذى لابد قد حدث .. أليس كذلك يا عزيزتى ؟

كانت سيفرين تكفكف عينيها بمنديلها ، وبدا أنها مقهورة حزنا وأسى ·· فهمست :

ـ نعم · لابد ان هذا هو الذى حدث ·

لا بأس ··انهم الان فى أثرشىء ملموس ·· ان ملاحظ البوليس وناظر المحطة تبادلا نظرة معنوية ·· وبدأ الجمع يتململ وقد رأى الاستجواب يصل الى نهايته ، وجرى تكوين الاراء ومناقشتها ، فكان لكل واحد نظريته الخاصة ، وبلغ من شدة استغراق موظفى المحطة فى هذه المأساة أنهم انصرفوا عن العمل حتى توقف تماما وعندما أقبل قطار التاسعة والنصف ينفث دخانه فاجأهم مفاجأة كبيرة .

وكان بيكيه الوقاد الواقف منتعشا بين مدام لوبليه وفيلومين هو اول من شاهد سائقه جاك لانتييه ينزل من القطار · وقد وقف يراقب الجمع ، فلوح له بيكيه واومأ اليه ان يقترب فسأل :

ـ ماذا جرى ؟

كان بالطبع يعرف تمام المعرفة .. انه لم يكد ينصت الى قصة الجريمة والنظريات التى ذهبت تدور حولها ·· ان ما ادهشه واقلقه هو ان يجد نفسه فى صميم التحقيق وان يرى مرة ثانية المركبة التى مرقت أمامه فى الليل لقد انحنى لكى يستجلى بنظرة ادق الدم المتجمد على الوسادة · انه رأى مرة ثانية فى خياله الجريمة وقبل كل شىء الجثة ملقاة قرب الشريط الحديدى مطعونة الرقبة · ثم استدار فى مكانه ولمح روبو وزوجته ، انه كان يعرف الزوج معرفة يسيرة ، اذ كانا يتلاقيان احيانا عندما يتولى قيادة القطار السريع ، وكان يشاهد الزوجة بين

وقت وآخر ويتجنبها ، لنفس السبب المروع الذى جعله يتجنب غيرها من النساء · والان لم يتمالك ان فكر كم تبدو جميلة وهى فى حزنها ، بعينيها المروعتين اللتين اشتدت زرقتهما تحت شعرها الاسود ·

وكان بيكيه ماضيا فى سرد قصة الجريمة له ، ولكن جاك لم يلبث ان قاطعه قائلا :

ـ انا اعرف ·· ! انى كنت عند طرف النفق فى الليلة الماضية ، واعتقد انى شاهدت شيئا بينما كان القطار يمر

لدى هذا الكلام حدثت ضجة هائلة ، وتجمع الناس من حوله ، حتى لقد دهش ، بل انزعج مما ذكره لتوه .. لماذا تكلم بعد أن كان قد استقر عزمه على اغلاق فمه ؟ كان هناك كل سبب معقول لالتزام الصمت ، ومع ذلك فان الكلمات انفلتت منه وهو واقف يراقب تلك المرأة .. والان لم تلبث هى أن أبعدت المنديل والتقت عيناها الواسعتان بعينيه ·

واسرع اليه ملاحظ البوليس وقال له :

ـ ما هذا كله ؟ ما الذى شاهدته ؟

فراح جاك ، وسيفرين تراقبه طول الوقت : يحكى ما ظن انه شاهده : المقصورة المضاءة تمر امامه كالسهم ، والرؤية الخاطفة لجانب وجهى الرجلين ، احدهما ملقى على ظهره ،والثانى ممسك بمدية ·· ذلك وقد وقف روبو بجانب زوجته ، ينصتان ·

قال ملاحظ البوليس :

ـ اذن فيمكنه أن يعرف القاتل ؟

ـ آه ، كلا · انا لا ادرى فعلا كيف يمكننى هذا ·

ـ حسنا · ماذا كان يلبس ؟

ـ لم يمكننى أن أتأكد ، لابد أن القطار كان يسير بسرعة خمسين ميلا فى الساعة ،كما تعرف ·

فتبادلت سيفرين نظرة سريعة مع روبو ، الذى عالج ان يقول :

ــ نعم • لابد انتكون لك عينان حادتان ليمكن ذلك !

وقال مسيو كوش: ــ لا بأس انها مسألة خارجة عن الارادة ومع ذلك فان هذه شهادة هامة • ان قاضى التحقيق سوف يكون له ولا شك كلام اكثر فى هــذه النقطة هل لى يامسيو روبو ومسيو لانتييه أن أعــرف اسم كل منكما بالكامل .

• • •

الفصل الرابع

بدأ التحقيق الرسمى فى قضية جرانموران فى أوائل شهر مارس • وقد استدعى مسيو دنيزيه قاضى التحقيق الشهود الرئيسيين الى مكتبه فى محكمة روان •

ولقد أحدثت هذه القضية طيلة الاسابيع الثلاثة الماضية ضجة كبرى ، لا فى روان فحسب ، بل كذلك فى باريس • واستخدمت صحف المعارضة القضية وقودا فى الحملة التى كانت تشنها ضد الامبراطورية • وانتشرت قصص كثيرة ذات طابع غير عادى • وكانت الصحف تصدر كل صباح حافلة بالتعريض الضار بسمعة الحكومة • وكان من بينها التلميح بأن الضحية ــ وهو قاض سابق ، ومليونير ، وحامل وسام جوقة شرف ، ومن بين الذين يستقبلهم البلاط ــ كان منغمسا فى فجور شنيع مقزز • وأشارت صحف أخرى الى الرجل المجهول الذى لم يعثر له على أثر والمظنون بأنه مرتكب الجريمة ، وتساءلت ان كان حقيقة له وجود ، واتهمت البوليس والقضاء بالقصور والتراخى • ومع أن كثيرا مما نشر كان له أساس من الحقيقة ، فان الامر لم يكن مما يسهل احتماله •

وأدرك مسيو دنيزيه ، وهو على تمام العلم بالموقف ، جسامة التبعة وعظم المسئولية اللتين يتعين عليــه احتمالهما • وكان أكثر من ذلك تلهفا لمعالجة القضية بصورة موفقة فقد كان رجلا طموحا ، وهذه لا شك هى الفرصة التى ظل ينتظرها ــ الفرصة لاظهار أعلى قدر من النشاط وحدة الذهن اللذين يعتقد أنهما موفوران لديه •

وفى ذلك اليوم ، فى المحطة ، انفض جمع المشاهدين ، وتفرقوا عائدين الى أعمالهم،وكان على روبو أنيسرع، فان المسافرين كانوا يصعدون الى قطار التاسعة والخمسين، وقد صافح جاك بقوة أكثر من المعتاد ، وابتعدت مدام لوبليه وفيلو مين وبيكيه وهم يتهامسون فيما بينهم . ولما وجد جاك أنه أصبح وحده مع سيفرين ، شعر أن عليه أن يرافقها فى المحطة حتى سلم مسكنها ، ولم يستطع أن يفكر فى شىء يقوله لها ، ولكن بداالا ن أن هناك نوعا من الارتباط قام بينهما . وعندما ترك سيفرين فى النهاية ، التقت عيناه بعينيها مرة أخرى ، وقد وجد فيهما نفس نظرة الخوف والاستعطاف الرقيقة التى حركت قلبه من قبل .



وفى خلال ذلك تم القبض على بعض الاشخاص ، ولكن المشتبه فيهم أخلى سبيلهم لانعدام الدليل على الادانة .

ثم فتحت وصية جرانموران ، وفى الحال أثارت فى نفس قاضى التحقيق دنيزيه مرة أخرى ارتيابا قام لديه منذ البداية ، وهو احتمال ادانة روبو وزوجته . ان الوصية تضمنت بعض بنود طريفة ، ومن بينها بند بترك المنزل الذى فى (كروا دى بوفرا) لسيفرين . وقبل ذلك لم يكن ثمة دافع ظاهر للجريمة ، أما الان فهذا هو الدافع الجلى : أن روبو وزوجته قد يكونان عرفا بأمرالوصية، فقاما بقتل المحسن اليهما للتعجيل بالانتفاع بما أوصت به لهما ، ثم كان هناك أيضا بالطبع اتجاه آخر للتحقيق أشار اليه روبو ذاته ، وهو احتمال صعود أحد الى المقصورة فى اللحظة الاخيرة بين الهرج والسرعة فى محطة روان .

ومهما يكن فقد بدا أنه لا سبيل الى التقدم فى وجهة معينة ، ولكن عندما عرف دنيزيه فجأة وهو يستجوب ميزار عامل الاشارة بقصة كابوس ولويزيت ، الفتاة التى حاول القاضى النيل منها والتى توفيت فى كوخ كابوش هنا بزغ فجأة شعاع من الضوء .. ان كل شىء يوضع الان فى موضعه الصحيح : ان كابوش عامل المحاجر كان قد هدد بقتل جرانموران ، وكان من أرباب السوابق . واثبات مكان وجوده وقت ارتكاب الجريمة كان ضعيفا ، ولم يمكن اقامة الدليل عليه . وهكذا بادر مسيو دنيزيه الى العمل ، وتم القبض على كابوش سرا ، وفى كوخه المهجور فى صميم الغابة عثروا على بنطلون ملوث بالدم . ومع أن دنيزيه لم يكن بعد مستعدا للتخلى عن نظريته فى احتمال أن يكون روبو وزوجته هما القاتلان، فانه بدأ يهنىء نفسه لانه كان وحده من الزكاء بحيث تهيأ له أن يكتشف القاتل الحقيقى . ولكى يحول الارتياب الى حقيقة مؤكدة ، فقد استدعى الشهود الاساسيين للمثول أمامه فى مكتبه المعتم بمحكمة روان .

وقبل الموعد المحدد بنصف ساعة كان روبو وسيفرين ينتظران فى المحكمة . ذهبا اليها مرتدين ملابس الحداد كمن فقد قريبا عزيزا ، وجلست سيفرين فى الردهة فوق أحد المقاعد الخشبية ، بينما جعل روبو يروح ويغدو أمامها ويداه مشبكتان خلف ظهره . ولم يكونا يتكلمان ، ولكن أعينهما تلاقت وبان الخوف فى ملامح وجهيهما كطيف عابر . ولو كانت غير هذه الظروف لابهجهما أن يؤول اليهما المنزل (كروا دى موفرا) ، أما الان فانه ضاعف من قلقهما . ان بيرت ابنة القاضى ــ التى روعتها غرابة الهبات التى تضمنتها الوصية والتى بلغت نصف الثروة تقريبا ــ ذهبت تتكلم عن الطعن فى الوصية ، بل

أنها بتحريض من زوجها ، راحت تظهر عداء خاصا نحو صديقتها القديمة سيفرين ، وتتفوه بتعريضات ضارة وتلميحات شديدة عنها · ثم ان الخوف من أن تكشف الظروف عن دليل حاسم كان يؤرق سيفرين ــ وخاصة تلك الرسالة التى اضطرها روبو الى أن تكتبها للقاضى جرانموران · ومهما يكن ، فان الايام تتابعت ولم يحدث شىء ، وكان أى استدعاء جديد أمام قاضى التحقيق يثير خوفهما ويسيل عرقهما تحت هذا الهدوء الظاهرى بوصفهما شاهدين ومنتفعين ·

وكانت الساعة تدق الثمانية تماما عندما جاء جاك لانتييه قادما من باريس ، فبادر روبو الى تحيته بحرارة ، وبسط له يده قائلا :

ــ اذن فهم قد لفوا الحبل حولك أيضا ! يا لطول الاجراءات ! ·· كم أتمنى أن ينتهوا من هذه المسألة اللعينة بأقرب ما يمكن !

وفى هذه اللحظة وقع نظر جاك على سيفرين ، فوقفه مكانه جامدا ، كان كلما وجد نفسه فى الهافر هذه الايام ، يوما بعد الاخر ، فان روبو كان يدفع الى لقائه والتودد اليه · بل أنه تناول الغداء مرة معهما ، على كره منه · وعندما جلس الى جانب الزوجة الشابة تملكه ذلك الخوف المعهود ، ولكن بصورة أسوأ هذه المرة · أن مجرد رؤيته لرقبتها البيضاء من فوق حافة الثوب جعل يديه تسرى فيهما الحرارة وقلبه يدق بسرعة · لقد أدرك أنه لابد له منذ الان أن يبتعد عن طريقها بأى ثمن ·

قال له روبو :

ــ ماذا يقولون عن القضية فى باريس ؟ ما من جديد فيما أظن ؟ أنهم لا يعرفون شيئا ، ولا أعتقد أنهم سيعرفون قط · تعال كلم زوجتى ·

وأمسك بذراعه وقاده الى مكان سيفرين ، التى ابتسمت فى حياء كطفلة عصبية · ولكى يخفى جاك ارتباكه فانه راح يتكلم كيفما اتفق وفى خلال ذلك كله كان الزوجان يراقبانه بدقة وكأنما يحاولان أن يقرآ أفكاره ·· لماذا يبدو فاترا حيالهما ؟ لماذا يحاول أن يتجنبهما ؟ هل تذكر أخيرا بعض التفصيلات ؟ هل استدعى الى التحقيق خصيصا لمواجهتهما ؟ أنه كان الشاهد الوحيد الذى يخشيان جانبه ، وقد أدركا أنه لابد لهما من استخدام كل وسيلة فى طاقتهما لاسترضائه ·· لابد أن يورطاه معهما ·· لابد أن يضماه اليهما برباط وثيق محكم بحيث لا يجسر قط على أن يتكلم بسخاء ضدهما ·

وسمعت سيفرين وقع خطوات فى الردهة ، وهمست :

ــ ها هى بيرت وزوجها ·

كانا هما فعلا ، وقد مرا بهم دون أن تكلف بيرت خاطرها بتوجيه ولو نظرة الى ناحية صديقتها القديمة ، وأسوأ من هذا أنهما أدخلا فى الحال الى مكتب قاضى التحقيق :

وقال روبو : ــ لابد لنا من الانتظار ·· ربما نبقى هنا ساعتين على الاقل ؛ ولهذا لا مفر من الجلوس ·

وجلس الى يمين سيفرين واشار الى جاك بالجلوس الى يسارها ، وتردد جاك ، ولكنه عندما لمح نظرة الاستعطاف فى عينيها امتثل · أما هى فجلست شاحبة خافضة البصر بين الرجلين ، وشعر جاك بحرارة جسدها وهو جالس قربها ، وعندما طال بهم الجلوس انتابه شبه اغفاء ·

وفى مكتب مسيو دنيزيه قاضى التحقيق كانت الاستجوابات على وشك أن تبدأ ·· أن التحقيقات الاولية ملأت حتى الآن ملفا ضخما : انهم حاولوا أولا تتبع

خطوات القتيل منذ مغادرته باريس ، وشهد مسيو فاندورب ناظر المحطة هناك بأن عربة كوبيه اضافية قد ألحقت بالقطار فى اللحظة الاخيرة ، وانه تبادل بعض الحديث مع روبو ، وبعد ذلك وصل القاضى جرانموران ودلف الى مقصورته المحجوزة التى كان فيها وحده بكل تأكيد ، ولما جاء دور هنرى دوفرن حارس القطار سئل عن فترة التوقف مدة عشر دقائق فى محطة روان ، ولكنه لم يستطع أن يضيف بيانات كثيرة ٠ انه شاهد روبو وزوجته على الرصيف ويعتقد أنهما عادا الى مقصورتهما ، ولكن مع وجود الزحام فى المحطة وضعف الضوء فانه لا يستطيع أن يجزم بشىء ٠ اما عن احتمال وثوب انسان الى المقصورة لحظة تحرك القطار ، فكان من رأيه أن هذا غير ممكن ، وان لم يكن مستحيلا ٠ ولم تكن أقوال باقى الموظفين فى هذه المحطة الا نوعا من التشويش ، اذ كانت تناقض بعضها بعضا ٠ ولكن كان هناك شىء واحد ثبت بصورة محددة ، وهو أن روبو قد صافح ناظر محطة بارنتان ، وقد أيد الاخير هذه الحقيقة وأضاف اليها ان روبو كان وحده مع زوجته ، التى بدا أنها كانت نائمة ٠

هذا ، وعندما أدخل لاشيناى وزوجته بيرت كريمة القتيل الى مكتب قاضى التحقيق ، استقبلهما مسيو دنيزيه واقفا ، وكان منذ فترة يعيد قراءة بعض جوانب التحقيق ٠٠ كان قصيرا ، متين البنيان ، حليق الوجه وخط الشيب عارضيه وكان وجهه الشاحب جامد الملامح ، وأجفانه المتثاقلة تكاد تحجب عينيه الواسعتين الباهتتين ، وكانت الدلالة الوحيدة على حدة ادراكه والتى كان يطرى بها نفسه هى فمه المتحرك . كان له فم ممثل ٠٠ كان اذا أراد أن يبدو حاذقا بارعا يزم شفتيه الى داخل فمه حتى لا يكاد يبدو منهما سوى خط رفيع ٠

والواقع أن الحذق كان أحيانا يفسد عليه كل شىء ، وكانت براعته المبالغ فيها تضيع أمامه الحقيقة فى بساطتها ٠

أما الان فانه وقف يحتفى بمدام دى لاشيناى ويدعوها الى الجلوس ، فى حين أنه بدا أقل حفاوة بزوجها البادى الاعتلال ، ذلك الذى استطاع بفضل نفوذ صهره المتوفى أن يرقى الى مرتبة المستشار القضائى وهو فى السادسة والثلاثين ، فى حين أنه هو نفسه ظل يكافح حتى وصل بشق النفس الى وظيفته الحالية كقاض للتحقيق ٠٠ والواقع أنه لم يكن نادما قط على اظهار سلطته كاملة هنا ، فى حرم مكتبه ٠٠

قال دينزيه : ـ أرجو المعذرة يا سيدتى لازعاجك مرة أخرى بشأن هذه القضية الاليمة ، ولكنى أعلم أنك متلهفة مثلنا للوصول الى العدالة ٠

وما كاد يبدأ فى سؤال بيرت لاشيناى حتى قاطعه زوجها بسيل من الشكوى والاحتجاج على ما جاء فى وصية صهره القتيل التى بعثر فيها من أمواله ما كاد يصل الى نصف التركة ، ووزعها على اناس لا يكادون يعرفونهم ، على نساء من جميع الطبقات ، بل حتى بائعة الورد بجوار منزله .. ان هذا شىء لا يطاق ! .. ولاشك أنه لا ينتظر الا انتهاء التحقيق لكى يبادر باتخاذ اجراءات الطعن فى الوصية لالغائها .

وظل مسيو دنيزيه يراقب ببرود هذا اللون من الضعة من خلال عينيه نصف المغمضتين ، وقد شف فمه الرقيق عن الحسد والاحتقار معا لهذا المخلوق التعس الذى لم يقنع بوراثة مليونين ، والذى بفضل هذه الثروة سوف يرقى ولا شك الى أعلى المناصب .

وقال ردا عليه : ـ انى لا أكاد أنصحك بأن تلجأ الى هذا يا سيدى ٠ ان الوصية لا يمكن الطعن فيها الا اذا

جاوزت الهبات نصف التركة ، وهذا ما لم يحدث هنا .

فقال لاشيناى وقد زادت ملامحه ضيقا وسخطا :

ـ هل تظن انى سأترك روبو وزوجته يستحوذان على منزل (كروا دى موفرا) دون اعتراض ؟ هل أترك ملكية شىء كهذا لابنة خادم .. ؟ كيف يمكن تبرير هذا العمل ؟ وفضلا عن ذلك ، اذا امكن اثبات أنهما انحدرا الى الجريمة ..

ـ هل تظن أنهما فعلا هذا ؟

ـ ياللسماء ! اذا عرفا بأمر الوصية ، فان اهتمامهما بموت والدنا المسكين يمكن اثباته .. ثم لا تنسى أنهما كانا آخر من تكلما معه .. ان هذا كله يبدو مثيرا للشبهات ولا شك ..

ـ وأنت يا سيدتى .. هل تعتبرين صديقتك القديمة قادرة على ارتكاب مثل هذه الجريمة ؟

نظرت الى زوجها قبل أن تجيب .. انهما بعد شهور قليلة من الزواج ، وجدا توافقا كبيرا فى أسوأ الطباع والخصائص ، ولا سيما التحجر والغطرسة ، التى نمت فيهما وتزايدت :

قالت : حسنا يا سيدى ، ان المخلوقة التى نتحدث عنها ، كانت لها ولا شك غرائزها القبيحة جدا وهى فتاة صغيرة .

ـ هل تتهمينها بأن مسلكها كان سيئا فى دوانفيل ؟

ـ آه لا .. ليس هناك .. ان والدى ما كان ليسمح ببقائها هناك لو انها كانت كذلك .

لقد شفت كلماتها عن تكلف الاحتشام ، وان كل ما يعنيها هو أن تحافظ على سمعتها الخاصة دون أن يعلق بها شىء بين اكابر الناس فى روان .. وقد استطردت تقول :

ـ لكن عندما يكون الناس متصفين بغرائز خلقية فان .. فى الحقيقة يا سيدى أن كثيرا من الاشياء التى كنت استبعدها وقتئذ ، تبدو لى الان مؤكدة :

فأبدى مسيو دنيزيه اشارة تنم عن التبرم ، ان تشعب التحقيق على هذه الصورة لا يعنيه فى شىء ، ومن شأن السير فيه ان يعطل اجراءاته .

وفى هذه اللحظة أطل الحاجب برأسه ، ولكن قبل ان يقول شيئا دفعت الباب يد مكسوة بقفاز ، ودلفت امرأة شقراء فى ملابس حداد انيقة . كانت فوق الخمسين ، ولكن كان لها جمالها البادى

ـ هذا انا ياعزيزى القاضى . اننى تأخرت لكنك سوف تعذرنى ، اليس كذلك ؟ ان الطرق فى حالة مروعة ، ومسافة الاميال الثمانية من دوانفيل الى هنا تبدو وكأنها ستة عشر !

فاستوى مسيو دنيزيه قائما وقال لها :

ـ ارجو ان تكونى بخير ياسيدتى ، منذ ان تلاقينا يوم الاحد الماضى .

ـ بكل خير ، شكرا لك . وانت ياعزيزى القاضى ، هل أفقت من الصدمة التى سببها لك سائق مركبتى ؟ لقد أخبرنى أن المركبة كادت تنقلب بك وهو يوصلك الى المنزل .

آه . انها كانت مجرد هزة .. اوكد لك ياسيدتى انها لم تكن شيئا يذكر .. أرجو أن تجلسى . وكما قلت الان لمدام لاشيناى ارجو المعذرة لاضطرارى الى اعادة اثارة هذه المسألة المحزنة .

ـ لا بأس .. اذا لم يكن بد من هذا .. وطبعا آه .. بيرت ! كيف حالك ؟ وانت يالاشيناى ؟

كانت القادمة هى مدام بونون ، شقيقة القتيل التى

مالبثت ان قبلت ابنة شقيقها وصافحت زوجها ·· كانت متزوجة من احد كبار رجال الصناعة الذى توفى وهى فى الثلاثين من عمرها تاركا لها ثروة كبيرة ، وان كانت غنية بحكم الوراثة ، بعدأن ورثت ضيعة دوانفيل عن والدها . وهناك فى هذه الضيعة كانت تحيا حياة مبهجة ، وقيل أنه كانت لها مغامرات عاطفية كثيرة ، ولكن سلوكها الظاهرى كان مثاليا الى حد أنها ظلت أمدا طويلا وهى نجم المجتمع فى روان · كان لها ولعبدنيا القضاء ، وكانت مركباتها المطهمة فى حركة دائبة لنقل اعضاء الاسرة القضائية من والى ندواتها الاجتماعية المبهجة المحدودة فى بيتها ·

وراح مسيو دنيزيه يقول لها :

ـ اذا سمحت لى يا سيدتى ، فانى أود أن أوجه اليك سؤالا أو سؤالين ·

ورغم انه فرغ من مساءلة الزوجين ، فانه لم يصرفهما وهكذا تحول مكتبه المتجهم القارس البرد فى هذه الفترة الى صالون من صالونات المجتمع ·

ـ ان احد الشهود ياسيدتى ذكر ان شقيقك القاضى تلقى برقية تدعوه الى الذهاب الى دوانفيل فى الحال · فهل كانت هذه البرقية منك ؟

كانت مدام بونون تجلس باسمة مسترخية ، وقد اجابت بعذوبة من يدردش ، لا من يرد على استجواب :

ـ كلا ·· اننى كنت انتظره حوالى ذلك الوقت ، لكنه لم يحدد موعدا لحضوره · انه كان عادة يحضر مباشرة ، وعادة بقطار المساء . ولما كان له منزل صغير خاص فى حدود الضيعة ، فاننا لم نكن نعرف بوصوله · كان يستقل مركبة من محطة بارنتان ، ولا يظهر لنا الا فى وقت متأخر فى اليوم التالى ، وكأنه جار يقوم بزيارة اننى كنت انتظره هذه المدة لانه كان مفروضا ان ياتينى بمبلغ عشرة آلاف

فرنك كان مدينا به لى ، ولابد انه كان يحمل هذا المبلغ معه ، ولهذا فانى كنت اظن دائما ان السرقة كانت هى الدافع الى الجريمة ·

اخلد قاضى التحقيق الى الصمت برهة ، ثم ومالبث ان تطلع اليها مواجهة وسألها :

ـ مارأيك فى مدام روبو وزوجها ؟

فأبدت اشارة سريعة تنم عن الاعتراض قائلة :

ـ آه ، يا عزيزى المسيو دنيزيه من المؤكد أنك لن تضيع وقتك حول هذين الشخصين الطيبين ؟ ان سيفرين كانت مخلوقة حسنة المسلك ، وجميلة أيضا ، وليس فى هذا جريمة أليس كذلك ؟ اننى سأقول ما قلته من قبل ·· اننى لا أظن أنها هى أو زوجها أهل لاقتراف مثل هذا الفعل الشرير ·

فاومأ برأسه · ان هذا هو ماكان يريد ان يسمعه ونظر الى مدام لاشيناى التى اضطرت ان تقول :

ـ احيانا ياعمتى تكونين متسامحة اكثر من اللازم ·

ـ هل أنا كذلك ؟ لابأس يابيرت ، اننا لن نتفق أبدا فى هذا الشأن ان سيفرين كانت دائما سعيدة ومستبشرة ، وكانت مستقيمة تماما ايضا · اننى اعرف جيدا ماتفكرين فيه انت وزوجك · انكما ساخطان لان والدك ترك منزل (كروادى موفرا) الى سيفرين ، لكن ·· ليس هذا جشعا منكما ؟ مهما يكن فانه رباها وأعطاها دوطة كما تعرفين ، ولم يكن سوى شىء طبيعى أن يترك لها شيئا فى وصيته ، فقد كانت بمثابة ابنة ثانية له ·· ان السعادة لا علاقة لها بالمال يا عزيزتى ·

والحق انها ، بسبب غناها الدائم ، لم تكن تهتم بشئون المال · وبسبب كونها جميلة ومحبوبة جدا ، فانها كانت

تنادى دائما بان الحب والجمال هما الشيئان الهامان فى الحياة ٠

وقالت مدام لاشيناى بلهجة جافة !

ــ لكن روبو هو أول من ذكر مسألة البرقية واذا لم تكن هناك برقية ، فان والدى ما كان ليقول انه تلقى برقية ٠ فلماذا كذب روبو ؟

فقال مسيو دنيزيه بحدة :

ــ لكن القاضى ربما اخترع البرقية لتفسير سفره المفاجىء ٠ وطبقا لما جاء فى أقوال الزوجين روبو فان نيته الاصلية كانت السفر فى اليوم التالى ٠ ولما وجد نفسه فى نفس القطار ، فقد اضطر ان يقول شيئا ما دام لا يريد ان يخبرهما بالسبب الحقيقى ، وهوالذى مازلنالا نعرفه نحن فعلا ٠ ان مسألة البرقية هذه لا اهمية لها ٠

وساد الصمت مرة أخرى ، وعندما عاد قاضى التحقيق الى الكلام كان صوته هادئا ومليئا بالقلق والاشفاق :

ــ والان ياسيدتى ، اصل الى موضوع دقيق بصفة خاصة ، وارجو ان تتجاوزى عن طبيعة اسئلتى ٠٠ مامن احد يكن اعظم احترام لذكرى شقيقك اكثر منى ٠٠ لكن كانت هناك اشاعات ٠٠ قالوا انه كانت له خليلات ٠٠

فعادت مدام بونون الى الابتسام مرة أخرى بمنتهى التسامح ، واجابت :

ــ آه ٠٠ فى سنه ، ياسيدى العزيز ! ٠٠ طبعا اصبح شقيقى أرمل وهو فى أوج الشباب ٠٠ اننى لم اشعر قط بان من حقى ان أدين اى عمل كان يعمله ٠٠ انه عاش حياته الخاصة وأنا لم أتدخل قط . ان الذى أعرفه تماما هو انه كان يقدر مركزه فى المجتمع ، وكان يستقبل من اكابر الناس الى النهاية ٠

والواقع ان بيرت التى غضبت لسماع كلام عن خليلات

ابيها يناقش فى حضورها ، غضت بصرها ، بينا يمم زوجها الذى ارتبكمثل ارتباكها شطر النافذة ووقف موليا ظهره اليهم ٠

قال مسيو دنيزيه : ــ لابد ان تسامحينى اذا اصررت ٠ لكن الم تكن هناك قصة عن خادمة صغيرة فى الضيعة ؟

ــ آه ، نعم ، لويزيت ٠٠ لكنها كانت فتاة صغيرة شريرة ٠٠ ومن العجيب انها كانت على علاقة برجل من أرباب السوابق عندما كانت فى الرابعة عشرة ٠٠ انهم حاولوا استغلال موتها لتسوىء اسم شقيقى ٠٠ انه كان شيئا فاضحا ٠٠ دعنى أحدثك عن القصة ٠

ورغم أن عادة القاضى لم تكن سرا بالنسبة اليها وموته المفاجىء لم يدهشها ، فقد شعرت ان من واجبها ان تحافظ على سمعة الاسرة ومكانتها ٠ اما بصدد قصة لويزيت المؤسفة ، فكان من رأيها انه كان اهلا للطمع فى الفتاة ولكنها كانت بنفس القدر مقتنعة بان الفتاة التى كانت مبكرة النضج ومنحرفة ، قد شجعته على ذلك ٠

راحت تقول :

ــ انها كانت فتاة لطيفة ، وافرة الملاحة وبراءة المظهر حتى لا يظن احد انها تبطن شيئا تحت مظهرها البرىء ، ومع ذلك فانها لم تكن تجاوز الرابعة عشرة عندما اصبحت خليلة لرجل ضخم متوحش يعمل فى قطع الاحجار امضى منذ فترة خمس سنوات فى السجنلقتل رجل فى شجار فى احدى الحانات ٠ وكان يعيش فى كوخ حقير فى غابة بيكور ، يعمل فى تلك المحاجر المهجورة التى يظن ان نصف مبانى روان شيدت منها ٠ فى هذا المكان اعتادت الفتاة أن تلتقى بهذا ٠٠ بهذا الوحش ٠ وكان كل انسان يخافه الى حد ان الجميع كانوا يتجنبونه كما يتجنبون الطاعون ٠ وكان بوسع الناس ان

يشاهدوهما وهما يسيران فى الغابة متشابكى الايدى ، هى صغيرة ضئيلة وهو كوحش ضخم هائل ، ثم الافعال التى كانت تصدر عنهما ٠٠ طبيعى انى سمعت بهذا فيما بعد ٠٠ انى قبلتها عندى من باب الشفقة والخير ٠٠ وكنت اعرف ان عائلتها عائلة ميزار ، فقيرة جدا ، وقد حرصوا على الا يذكروا لى انهم كانوا يضربونها مرارا لمنعها من الذهاب الى كابوش كلما وجدت الباب مفتوحا ٠٠ وكان شقيقى ليس له خدم مخصصون لمقى دوانفيل .. فكانت لويزيت وامرأة أخرى تنظفان له المنزل ٠ وذات صباح ، عندما كانت وحدها فى المنزل، اختفت عن الانظار واذا سألتنى قلت لك انها كانت تدبر هذا الامر منذ وقت طويل ٠ وربما جاء عشيقها وأخذها. ولكن الشيء المخيف هو انه بعد خمسة أيام ، بدأت اشاعات عن موتها تنتشر مع كلام كثير عن شقيقى بانه حاول الاعتداء عليها فى ظروف مروعة حتى ان الفتاة فقدت صوابها وهربت والتجأت الى كابوش فى كوخه ، حيث توفيت بحمى فى المخ ٠ كم اتمنى ان اعرف حقيقة ماحدث ٠٠ ان هناك روايات كثيرة حتى ليصعب التأكد من شيء ٠٠ ان لوزيت ماتت فعلا بنوع من الحمى ، كما قرر أحد الاطباء ، ولكنى أعتقد أن هذا كان نتيجة تجولها فى المستنقعات والنوم فى الخلاء .. اننى لا أظنك تعتقـــد أن شقيقى يمكن أن يسيء الى هذه الطفلة المسكينة ، أليس كذلك يا سيدى ؟ ان فكرة كهـذه مستحيلة .. شنيعة ..

وفى خلال هذا كله راح مسيو دنيزيه ينصت باهتمام دون ان تبدر منه علامة تدل على التأييد او الانكار ٠وفى ختام القصة ابدت مدام بونون شيئا من الارتباك اذ جعلت تقول :

ـ أنا .. أنا لا أقول أن شقيقى لم يرد أن يلاعبها الى حد ما ٠ انه كان يحب الشباب انه كان مرحا خلف مظهره البارد ٠ لنقل انه قبلها مثلا ٠

عند هذا الحد احتجت بيرت حياء قائلة :

ـ آه ياعمتى ! ياعمتى ! كيف تقولين شيئا كهذا ؟ ٠٠

فهزت منكبيها ما الفائدة من الكذب امام قاضى التحقيق واستطردت تقول :

ـ اقول انه قبلها وربما داعبها لا شيء من الشر فى هذا ٠٠ لابد ان لويزيت جسمت الموقف ، ربما لكى تستبقى كابوش عاشقا لها ، وبهذا اعتقد هو فى النهاية ان شقيقى قتلها .. انه كان غاضبا الى حد الجنون .. انه تردد على جميع الحانات يقول لكل انسان انه اذا تمكن من وضع يده على شقيقى لقتله كخنزير ٠

فقاطعها القاضى قائلا :

ـ هل قال هذا ؟ هل هناك شهود يمكن ان يؤيدوا ذلك ؟

ـ شهود كثيرون بعدد ما تريد يا عزيزى المسيو دنيزيه لكنها كانت مسألة محزنة ، وقد نتجت عنهـا متاعب كثيرة لنا .. من حسن الحظ أن مركز شقيقى وضعه فوق الشبهات ٠

ادركت مدام بونون فى اى اتجاه يسير التحقيق ، وفضلت الا تورط نفسها بان تسأل القاضى بدورها ، اما هو فقد نهض قائلا انه لا يرغب ان يتجاوز حدود اللياقة أكثر من هذا فى حين أنها والاسرة فى حزنهم المعروف. وامر الكاتب بقراءة الاقوال قبل التوقيع ، وكان تلخيص الكاتب آية فى الدقة والبعد عن الحشو وكلمات التوريط الى حد ان مدام بونون امسكت القلم بيدها وقبل ان توقع وجهت الى الكاتب الشاب المعروف الشاحب ابتسامة الرضاء ٠

وعند الباب صافحت القاضى وهى تقول :

ـ سوف اراك قريبا ، اليس كذلك ؟ انت تعرف انك دائما محل الترحاب فى دوانفيل ٠ انت واحد من الاصدقاء القليلين الباقين لى ٠

وكانت ابتسامتها مشوبة بالكآبة ، ولكن ابنة اخيها بيرت اكتفت باحناء رأسها بفتور وهى تخرج من الغرفة ٠

وعندما اصبح مسيو دنيزيه وحده تنفس عميقا ، ووقف برهة مستغرقا فى التفكير ٠ لقد شعر ان القضية باتت الان واضحة امامه ٠ من المؤكد ان جرانموران كان مدانا بعمل عنيف وشهرته كانت معروفة للجميع وفى هذا يجعل موقف الاتهام دقيقا ، حتى اعتزم ان يتمسك باتم الحكمة . وفى نفس الوقت تشعر بالانتصـــار ، فهو واثق انه وضع يده على الجانى .

ـ ليدخل جاك لانتييه !

كان الزوجان روبو ما زالا ينتظران فوق المقعد الخشبى فى الردهة ، ومالبث صوت الحاجب وهو ينادى جاك ان ايقظهما من خدرهما بشبه انتفاضة ، فراقباه وهو يدخل ومازالا على صمتهما ومابهما من شحوب ٠

لقد ظل جاك منذ تلك الليلة الرهيبة يطالعه موضـــوع جرانموران وكأنما سوف يرتد الموضوع ضده على نحو ما ٠ وكان يرى انه غير محق فى هذا الاحساس ، اذ ليس له فيه جريمة ولا ذنب ٠ ومع ذلك فما من مرة دخل فيها مكتب قاضى التحقيق الا خامره الفزع كمجرم وراء سر يوشك ان يماط عنه اللثام ، وقد أحكم شد اعصابه خوفا من ان يقول اكثر مما ينبغى ٠ وعلى اى حال فهو نفسه قد يقتل انسانا ما ؛ وعندئذ يقرأون السر فى عينيـــه ؟ شد ما أصبح يمقت ويخشى تلك الاستدعاءات الى مكتب قاضى التحقيق !

ومهما يكن من شىء ، فان ما كان يعنى مسيو دنيزيه اليوم هو وصف القاتل وجاك هو الانسان الوحيد الذى لمحه ، وهو وحده يستطيع ان يدلى بأوصافه ٠ بيد انه تمسك بقصته الاصلية مكررا انه لم يلمح المشهد سوى لمحة عابرة وان الانطباع الذى علق بذهنه كان انطباعا غائما ، شبح رجل بدا أنه يذبح رجلا آخر ٠ وظل المحقق يضغط عليه بالحاح مدى نصف ساعة مكررا السؤال فى كل صورة ممكنة ، ولكن دون جدوى ٠٠ كانت اجاباته دائما هى نفسها : كيف يمكن أن يتوقع منه أحد أن يعرف القاتل بوضوح بينما كان القطار يسير بسرعة خمسين ميلا فى الساعة ؟

وفى النهاية طلب قاضى التحقيق من جاك الجلوس ، واستدعى الحاجب :

ـ ادخل مسيو ومدام روبو ٠

وما كادا يدخلان الحجرة ويبصران أن جاك كان يجرى استجوابه حتى أومض الخوف فى أعينهما ٠٠ ترى هل قال شيئا ؟

هل يعمدون الى اجراء مواجهة بينه وبينهما ؟

لقد تبخرت ثقتهما ، وأجابا على الاسئلة الاولـــى بمجهود ٠٠ ولكن حتى هذه اللحظة فان قاضى التحقيق لم يزد عن تكرار استجوابه الســـابق ٠٠ ولم يكن أمامهما سوى أن يكررا أجاباتهما السالفة ؛ بينما جلس هو ينصت حتى دون أن ينظر اليهما .

وفجأة التفت الى سيفرين :

ـ يا مدام ، قلتما أنه خطر لكما أنه ربما دخل رجل الى مقصورة القاضى جرانموران فى محطة روان لحظة أن بدأ القطار يتحرك ؟

فوجئت بالسؤال ٠ لماذا أثار هذه النقطة مرة أخرى ؟

أهو يحاول الايقاع بها ؟ ونظرت الى زوجها مترددة ، وتولى هو الجواب قائلا :

ـ لست أظن ان زوجتى كانت دقيقة الى هذا الحد .

ـ عفوا . ولكن عندما أقررتما باحتمال هذا الامر قالت زوجتك : (أنا متأكدة ان هذا هو لابد ما حدث) .. انئى أريد أن أعرف يا مدام هل كان لديك سبب معين لهذا القول ؟

ملكت أعصابها بقوة ، مدركة انها اذا لم تلزم الحذر ، فقد يقودها الى الاعتراف بكل شىء . ولكن لابد لها مع ذلك من أن تقول شيئا :

ـ آه .. لا يا سيدى . لم يكن هناك سبب معين .. انى ببساطة قصدت أن أقول انه لابد ان رجلا دخل المقصورة لانى لم استطع ان افهم كيف يمكن أن يحدث شىء غير هذا .

ـ اذن فأنت لم تشاهدى فعلا الرجل .. ألا يمكنك أن تذكرى لنا أى شىء عنه ؟

ـ آه لا يا سيدى .. لا شىء .

فالتفت دنيزيه الى روبو قائلا :

ـ كيف تأتى انك لم تشاهد هذا الرجل اذا كان دخل المقصورة حقا ؟ لقد قلت أنت نفسك انك كنت ما زلت تتكلم مع جرانموران عندما انطلقت الصفارة .

تملك الذعر نفس روبو لحظة وهو لا يدرى أيتخلى عن قصة هذا الرجل أم يتمسك بها .. لو كان ثمة أى دليل ضده ، فان نظرية القاتل المجهول لن تقف على قدمين ، وربما زادت موقفه سوءا .. لكى يكسب الوقت فانه راح يدور بتفسير مطول مرتبك ، ما لبث أن قطعه دنيزيه بقوله :

ـ من سوء الحظ أن ذاكرتك ليست أوضح من هذا ، اذ

كان بوسعك مساعدتنا فى ازالة الشبهات التى ألقيت على أكثر من شخص .

بدا له ان هذا بمثابة التحدى المباشر له ، وقد شعر انه مطالب على نحو ما بان يبرر موقفه ، فقال :

ـ المسألة عندى هى ما هو العمل الصحيح الواجب على الانسان . ان الانسان من الطبيعى ألا يكون راغبا فى .. أعنى أنه متى اعترفت أنا برؤية الرجل ..

ورفع دنيزيه رأسه منتصرا : ها هو ذا بما أبدى من صبر وبراعة يتجه أخيرا الى الحقيقة .. كان يعلم بالتجربة مدى كراهية بعض الشهود لذكر كل ما يعرفونه ، وكان دائما يطرى نفسه لحذقه فى استدراجهم الى الكلام .. ولهذا قال :

ـ قل لى اذن .. ماذا كان شكل هذا الرجل ؟ ضخم ؟ قصير ؟ فى مثل طولك ؟

فأجاب روبو :

ـ آه ، لا .. أطول كثيرا .. على الاقل هذا هو انطباعى ، وهو مجرد انطباع .. وأظن انى لامست بكتفى شخصا وأنا أجرى عائدا الى مركبتى فى القطار .

ـ لحظة واحدة ! ..

قال دنيزيه هذا والتفت الى جاك ، وسأله :

ـ الرجل الذى لحته والمدية فى يده ، هل كان أطول من مسيو روبو ؟

ان جاك الذى بدأ يقلق أن يفوته قطار الساعة الخامسة ، توجه بنظره الى روبو .. لقد بدا له انه يشاهده بعين جديدة .. لقد دهش اذ وجده أدنى الى القصر والامتلاء .. ثم هذه الصورة الجانبية الواضحة للوجه ، هل رآها فى مكان ما من قبل ، أم انه رآها فى حلم ؟

أجاب جاك ردا على سؤال المحقق :

ـ لا ٠٠ ليس أطول ٠ نفس الطول تقريبا ٠

فهتف روبو : ـ آه ، لا ٠٠ أطول كثيرا ! ٠٠ أطول بقامة على الاقل ! ٠٠

كان جاك مازال يحدج روبو بنظراته ، ورأى روبو الدهشة تتبلج فى عينيه كما يتبلج الفجر ٠٠ فادار رأسه بحركة عصبية فى هذا الاتجاه وذاك ، وكأنما يحاول أن يتملص من صورته وان يفلت من مظهره .. وكانت سيفرين أيضا تراقب جاك ٠٠ تراقبه وهو يفتش فى ذاكرته ، ثم فجأة وبيقين ، يعرف المشابهة بين روبو وبين القاتل فى القطار ٠٠ الان ما عليه الا أن يتكلم فيقضى عليهما القضاء المبرم ! ٠٠ وتلاقت عيناه بعينى جاك مرة أخرى ، ونظر كل من الرجلين الى أعمق أعماق أفكار الاخر ٠٠ ولم يتكلم احدهما ٠٠ الى أن قال مسيو دنيزيه أخيرا :

ـ أنتما لاتتفقان معاذن ؟ لكن اذا كنت تظنه اقصر يالانتيه ، فلعل هذا كان بسبب انحنائه فوق ضحيته ٠

جعل قاضى التحقيق يتفرس فى الرجلين ٠٠ انه لم يعمل عامدا على اجراء مواجهة بينهما ، ولكنه الان شعر بغريزة المهنة تومىء له بأجلى من أى وقت مضى أن الحقيقة أمامه الان حقا فى هذه الحجرة ٠٠ بل ان نظريته عن كابوش لم تلبث أن اهتزت ٠٠ ترى هل كان الزوجان لاشيناى على حق آخر الامر ؟ أيمكن أن الطرف الجانبى ، رغم كل الاحتمالات ، هما موظف السكة الحديدية الفاضل ، وزوجته الشابة الطليبة ؟

قال موجها سؤاله الى روبو :

ـ هل كان للرجل لحية مثلك ؟

ـ لا ٠٠ لا أظن انه كان له لحية ٠

أدرك جاك انه سوف يسأل نفس السؤال ، فما الذى يجب أن يقوله ؟ ان الانطباع الذى كان لديه هو أن الرجل الذى أبصره فى القطار كانت له لحية ؟ ٠٠ لا بأس ٠٠ ان هذين الشخصين لا يهمانه فى شىء ، فلماذا لا يقول الحقيقة ؟ ولكنه فى هذه اللحظة تحول عن النظر الى الزوج وتلاقت عيناه بعينى الزوجة ، وفيهما شاهد أشد الاستعطاف الجنونى اليائس ، وأبلغ الخضوع المتهالك والاستسلام المطبق ، الى حد انه شعر بعميق التأثر دون سبب مفهوم ٠٠ ان الرجفة القديمة ما لبثت أن عادت اليه وتملكته نوبتها من جديد ٠٠ أيمكن أن يكون معناها انه بدأ يقع فى حب هذه المرأة ؟ ٠٠ أيمكن أن تكون هى المرأة التى يستطيع أن يحبها دون أن تساوره تلك الحاجة الجنونية الى القتل ؟ ان ذاكرته ما لبثت أن غشيها ضباب الارتباك من جديد ، وبدا انه لم يعد يستطيع أن يرى فى روبو شخص القاتل ٠٠ انه لو تكلم الان ، وهذه الشكوك الجديدة ماثلة لديه ، فربما ندم على هذا الى الابد ٠

ـ هل كانت لهذا الرجل لحية مثل السيد روبو ؟

ـ سيدى ، بأمانة لا يمكننى أن أكون متأكدا ٠٠ ان كل ذلك حدث بسرعة كبيرة ، كما سبق أن قلت ٠

بيد ان دنيزيه الح ٠٠ لابد له أن يعرف ٠٠ وهكذا مضى فى أسئلته ٠٠ ومن روبو استخلص وصفا كاملا للقاتل : طويل ، قوى البنية ، حليق الوجه ، فوق ملابسه رداء فضفاض لوقايتها من الاتساخ ـ صورة مضادة تماما لاوصافه ـ ومن جاك لم يستطع أن يستخلص سوى كلمات موجزة ومراوغات تطورت فى النهاية حتى كانت تأييدا لاقوال روبو ٠٠ واذن فان نظرية قاضى التحقيق الاولى كانت هى الصواب على أى حال ٠٠ ان أوصاف القاتل كانت تطابق كابوش تمام المطابقة ٠٠ وكل تفصيل جديد

كان يزيد هذه الحقيقة توكيدا ·· ان هذين الزوجين ، اللذين اشتبه فيهما بغير حق ، هما اللذان سوف تؤدى شهادتهما الحاسمة الى تقديم الجانى الى المقصلة ··

وبعد أن وقعوا جميعا على أقوالهم فى التحقيق ، أمرهم بالانتقال الى الغرفة المجاورة والانتظار حتى يستدعيهم ·

ثم أمر بادخال السجين ·· لقد شعر بأتم الرضا عن نفسه الى حد انه تمادى وقال لكاتب التحقيق وضعنا ايدينا عليه يالوران وفتح الباب وظهر اثنان من رجال البوليس يقودان شابا ضخما فى نحو الثلاثين من عمره فأشار لهما دنيزيه بالانسحاب وترك كابوش وحده أمامه . ويبدو وكأنه حيوان مقتنص .. كان أشقر الشعر ، غليظ العنق ، ضخم اليدين .. كانت جبهته الواطئة وملامحه الخشنة تجعله فى صورة نوع من المخلوقات : جاهل وعنيف ، ولكن فى هيئته فى نفس الوقت شىء يوحى بأنه مثل كلب يبحث عن سيد له يستطيع أن يكون له وفيا .. فى بكرة الصباح سحبوه بوحشية من كوخه الحقير فى الغابة لكى يواجهوه باتهامات لم يكد يفهمها ·· ان رداءه الخارجى الممزق وهيأته الشاردة الزائغة أسبغت عليه طابع المظهر الاجرامى المنحط الذى يستطيع السجن أن يدمغ به خيرة الرجال · كان الظلام ينسدل · وما لبث الحاجب أن جاء بمصباح كبير مكشوف وقف كابوش فى ضوئه الساطع القاسى جامدا ساكنا ·

وأنشأ مسيو دنيزيه يحدجه بعينيه الباهتتين المحجوبتين ·· انه لم يتكلم ·· كانت هذه هى المناوشة التمهيدية قبل أن تعلن الحرب ، حرب الدهاء ، والخديعة ، والتعذيب العقلى ·· ان هذا الرجل مجرم ،

والقانون عنده كل التبرير فى استخدام اى أسلوب لاثبات جرمه ·· ان الحق الوحيد له هو حق الاعتراف بجريمته ·

وبدأ الاستجواب ، بطيئا أول الامر :

ــ هل تفهم ما هى الجريمة التى انت متهم بها ؟

فجاء صوت كابوش أجش بغضب العاجز :

ــ انهم لم يبينوا لى ، ولكن عندى فكرة عامة ·· كان هناك كلام كثير عن الموضوع !

ــ هل كنت تعرف مسيو جرانموران ؟

ــ كل المعرفة !

ــ ان فتاة اسمها لويزيت ، عشيقتك ، أخذتها مدام بونون شقيقته للعمل خادمة عندها ؟

فتفجر ناحت الاحجار بالغضب قائلا :

ــ ان اى انسان يقول هذا هو كذاب دنىء ! ·· ان لويزيت لم تكن عشيقتى !

ــ أنت معروف بالعنف · لقد سبق الحكم عليك بالسجن خمس سنوات لقتل رجل فى مشاجرة .

غض كابوش بصره .. ان هذا الحكم هو الشىء الوحيد الذى كان يخجله .

غمغم قائلا :

ــ انه ضربنى أولا ·· ثم انى لم أمكث فى السجن الا اربع سنوات ، وأفرج عنى لحسن السير ·

فاستطرد قاضى التحقيق يقول :

ــ اذن فأنت تتمسك بأن لويزيت لم تكن عشيقتك ؟

ومرة أخرى أطبق كابوش قبضتيه ، وراح يقول :

ــ انها كانت ماتزال طفلة عندما خرجت من السجن ، ولم تكن حتى فى الرابعة عشرة ·· ولم يكن أحد يريد ان يختلط بى ·· ولكن عندما التقيت بها فى الغابة اعتادت

أن تأتى وتتكلم معى ، وأصبحنا اصدقاء ٠٠ واعتدنا ان نمسك بأيدى بعضنا عندما نتمشى ٠٠ كانت هذه أوقاتا سعيدة ٠. كانت تكبر ، واعتدت أن أفكر فيها ، لا أنكر ذلك ٠٠ اننى أصبحت مجنونا بحبها ٠٠ وكانت هى أيضا تحبنى ، وربما كان يمكن أن يحدث ما تقوله ، ولكننا فصلنا عن بعضنا ، وأخذوها للعمل عند تلك السيدة فى دوانفيل ٠٠ وذات ليلة عدت من المحجر ووجدتها على عتبة بابى ٠٠ كانت طائرة الصواب وتكاد تحترق بالحمى ٠٠ انها لم تجرؤ على الذهاب الى بيت والديها ٠.لا ٠٠ انها جاءت لكى تموت فى دارى ٠٠ رباه ! ٠٠ ذلك الخنزير ! ٠٠ كان يجب أن أذهب اليه وأقتله فى الحال ! ٠٠

زم مسيو دنيزيه شفتيه ، متأثرا بالاخلاص الواضح فى كلام المتهم .. لامفر له أن يتقدم بشىء من الحذر .. ان خصمه أقوى مما كان يقدر ٠.

ــ نعم .. أنا أعرف القصة المخجلة التى طبختها أنت والفتاة .. دعنى أبين لك ان حياة مسيو جرانموران كلها تضعه فوق مثل هذه الاتهامات .

فقال كابوش متلعثما :

ــ ماذا ؟ تقول ؟ ماالذى طبخناه ؟ أنت تتهمنى بالكذب ٠٠ لكن الاخرين هم الكاذبون ! ٠٠

ــ هيا الان ، ولا تتظاهر بالبراءة ! ٠٠ اننى استجوبت ميزار ، الرجل الذى تزوج أم عشيقتك ٠. اننى سوف أواجهك به اذا دعت الحاجة ، وعند ذلك سوف يمكنك أن ترى ما هو رأيه فى قصتك ٠٠ ثم لتحذر ما تقوله ٠٠ عندنا شهود ، ونحن نعرف كل شىء ، والافضل أن تخبرنا بالحقيقة ٠٠

كان هذا أسلوب السيد دنيزيه وتكتيكه المعهود ،

حتى ولو لم يكن يعرف شيئا ولم يكن لديه شهود ..

هل تنكر انك قلت مرارا أمام الناس انك سوف تقتل مسيو جرانموران ؟

ــ لا ٠٠ لا أنكر هذا ٠٠ انى قلت هذا الكلام فعلا .٠ وكنت أعنيه .. وكانت أصابعى تلتهب فعلا للوصول اليه ! ٠٠

ان مسيو دنيزيه الذى كان يتوقع منه أن ينكر كل شىء ، فوجىء مفاجأة اذ ألفاه يعترف بتهديداته ٠٠ ترى أية لعبة يلعبها هذا الرجل ؟ لقد أخلد دنيزيه الى التأمل برهة خشية أن يكون قد تسرع فى خطواته ، ثم ما لبث فجأة أن تطلع اليه مواجهة وسأله :

ــ ماذا كنت تفعل فى ليلة ١٤ فبراير ؟

ذهبت للنوم حوالى الساعة السادسة ، حالما جاء الظلام ٠٠ كنت أشعر بالاعياء الشديد حتى طلبت الى ابن عمى لويس أن ينقل حملا من الاحجار الى دوانفيل بدلا منى ٠.

ــ نعم ٠ ان ابن عمك شوهد وهو يعبر الشريط مع عربته ٠ لكن عندما استجوبناه فان كل ما أمكنه أن يقوله لنا هو أنك تركته حوالى الظهر وأنه لم يرك بعد ذلك ٠٠ أثبت لنا أنك كنت فى فراشك فى الساعة السادسة !

ــ كيف يمكننى اثبات هذا ؟ ! ٠٠ اننى أعيش فى كوخى فى وسط الغابة ! ٠٠ أقول لك انى كنت هناك . وأن هذا هو كل الموضوع !

ــ لا بأس اذن ٠ سأقول لك ماذا كنت تفعل ليلة ١٤ فبراير ٠٠

ولاح وجه السيد دنيزيه صارما بالعزم والتصميم وهو يصف الموقف :

ــ انك ركبت قطار الساعة الثالثة من بارنتان الى

روان ، لماذا ، لا ندرى ·· ودبرت أن تعود بالقطار الذى
يغادر روان فى الساعة التاسعة وثلاث دقائق ·· وكنت
على رصيف المحطة ضمن الجمهور عندما شاهدت مسيو
جرانموران فى مقصورته الخاصة ·· لاحظ أننى لا أتهمك
بسبق الاصرار ·· انك قررت أن تقتله بدافع وقتى ··
وفى اللحظة الاخيرة انتهزت فرصة الهرج وصعدت الى
مركبته ·· وجعلت تنتظر الى أن صار القطار فى نفق
مالونى ، لكنك أسأت التقدير لان القطار كان بسبيل
محطة بارنتان ·· هذا هو ما فعلته !

وجعل يراقب كابوش بوجهه الضخم الاحمر ، فما
أهاجه الا أن رآه ينفجر ضاحكا ويقول :

ــ هذه حكاية جميلة ! ·· أقول لك لو أنى فعلت هذا
لقلته بالحرف الواحد !

ثم انحاز الى الهدوء وأردف قائلا :

ــ انى لم أرتكب هذه الفعلة ، لكن كان يجب أن
أفعلها ·· نعم ، وأنا آسف لانى لم أفعلها !

وكان هذا هو كل ما استطاع مسيو دنيزيه أن
يستخلصه منه ·· لقد راح يكرر أسئلته ، ويغطى نفس
النقط بشتى الاساليب عديد المرات ، ولكن دون جدوى ··
لا ·· لا ! ·· لا ،مراراوتكرارا ! ·· ان كابوش ببساطة
كان يهز كتفيه ويقول ان هذا كله بلاهة ! ·· انهم عندما
قبضوا عليه فتشوا كوخه ولم يعثروافيه لاعلى السلاح
ولا النقود .. بل ما وجدوه هو بنطلونا عليه قطرات من
الدم ·· يا له من دليل عظيم! ·· ان كابوش ضج مرة
أخرى بالضحك ·· ان الدم كان من أرنب برى جرح وهو
يخرجه من فخ وقع فيه !

كان قاضى التحقيق هو الذى شعر بالارض تميد تحت
قدميه ، لانه كان مرة أخرى حاذقا أكثر من اللازم ،وأبى

أن يأخذ بالحقيقة البسيطة التى كانت تحت أنفه
مباشرة ! .. كان يعلم أن المتهم محدود الذكاء ، غيرأهل
لان يطاوله ويصمد أمامه فى معركة الدهاء ، ومع ذلك فان
هذا الرجل بانكاره الصريح الثابت كان يربكه ·· لكن
لابد أن يكون مدانا ·· ان كل انكار من جانبه كان يزيد
من سخطه ، ولكن لابد من أن يغلبه فى النهاية ··

هكذا نهض قاضى التحقيق وتقدم الى باب الغرفة
المجاورة واستدعى جاك لانتييه .

ــ هل تعرف هذا الرجل ؟

ــ نعم ، أعرفه ·· انى رأيته فى بيت ميزار .

ــ هل تعرف فيه الرجل الذى شاهدته فى القطار ،
القاتل ؟

تردد جاك .. انه لم يعرف فيه القاتل ، الذى بدا له
أقصر وأكثر سمرة ·· وقد هم أن يقول هذا ، عندما خطر
له أن هذا قد لا يكون من الحكمة ·· ومرة أخرى عاد الى
المراوغة ، فأجاب :

ــ لا أعرف ·· لا يمكننى أن أقول هذا ·· أقول لك
ياسيدى انى لا أستطيع أن أعرف .

ودون أن يضيع دنيزيه وقتا آخر معه ، فانه استدعى
الزوجين روبو مرة أخرى .

ــ هل تعرفان هذا الرجل ؟

ان روبو قد ذهل من المشابهة بين الرجل وبين القاتل
الوهمى الذى ذكر أوصافه ، الى حد أنه لم يدر بماذا
يجيب .

ــ تكلم الان .. هل تعرفه ؟

ــ لا بأس يا سيدى ·· كما قلت من قبل ، كان مجرد
شخص لامس كتفى فى مروره بى ·· كان بالقطع طويلا ،
وأشقر ، وأمرد .

ـ لكن هل هذا هو الرجل ؟
ـ لا يمكننى أن أقول تأكيدا .. لكنه يشبهه .. يشبهه كثيرا فى الواقع .

عند هذا الحد بدأ كابوش يسب ويلعن .. انهم يعملون على الايقاع به بحكاياتهم الملفقة السخيفة .. انه لم يفعل هذه الفعلة وهذا كل شيء ؟ والان فان كل ما كان يريده هو أن يتركوه يذهب .. لقد اندفع الدم الى وجهه وأطبق قبضتيه .. ان حالته أصبحت مهددة تنذر بالخطر ، حتى لقد استدعى دنيزيه الجنديين وأمرهما أن يذهبا به . لكن اظهار العنف على هذه الصورة هو كل ماكان يحتاج اليه السيد دنيزيه ــ ان الوحش المحاصر بدأ الآن يقاتل .. لقد زاد اقتناعا بأن هذا الرجل مدان ..

تبادل الزوجان روبو النظر فى صمت .. لقد انتهى كل شيء .. لقد أصبح القاتل فى أيدى العدالة ، ونجوا هما . ان ضميرهما كان قلقا بسبب الدور الذى اضطرتهما الاحداث الى القيام به ، ولكن أى تحرج شعرا به لم يلبث أن طوح به فى غمرة جارفة من الارتياح والفرح .. لقد ابتسما الى جاك ، وانتظرا من قاضى التحقيق أن يدعهما يخرجان الى الهواء الطلق .. ولكن فى هذه اللحظة ظهر الحاجب ومعه رسالة .

جلس مسيو دنيزيه الى مكتبه وبدا أنه نسى الشهود وهو يقرأ الرسالة ، كانت من وزارة العدل فى باريس ، وبدا له منها أنه كان يجدر به أن ينتظر التوجيهات قبل أن يمضى قدما فى تحقيق القضية . وقد شعر بوجهه تسرى فيه برودة وتصلب وهو يمضى فى قراءة الرسالة .. ان زهو انتصاره قد تبخر الان ، اذا كان ثمة انتصار قط .. وفى موضع من القراءة صوب نظرة جانبية على الزوجين روبو ، وكأن شيئا فى الرسالة قد ذكره فجأة

بوجودهما .. ولما قطنا الى نظرته زلزل كيانهما .. هل كتب عليهما أن تكون فرحتهما قصيرة العمر ؟ هل كان الفخ يطبق عليهما من جديد ؟ لماذا نظر اليهما على هذه الصورة ؟ .. ترى هل استطاعوا العثور على تلك الرسالة المثبتة للادانة التى كتبتها سيفرين ؟ .. انهما زادا قلقا وهما يراقبان وجه مسيو دنيزيه وهو يزيد تجهما .

واخيرا ترك الرسالة على مكتبه وجلس برهة مستغرقا فى التفكير .. ثم ما لبث أن نظر اليهما وقال :
ـ لا بأس .. سنرى .. سوف نعود الى هذا كله فيما بعد .. يمكنكما أن تذهبا الان

ولكن فيما هما يخرجان ، لم يستطع أن يقاوم الحاجة الى استجلاء نقطة معينة كانت تهدد الان بتدمير قضيته التى بناها بعناية فالتفت الى جاك قائلا :
ـ انتظر هنا لحظة يامسيو لانتييه .. عندى سؤال آخر لك .

وفى الردهة وقف الزوجان روبو .. ان الابواب كانت مفتحة امامهما واصبحا يستطيعان الذهاب الى حيثما يشاءان .. لكنهما وقفا مكانهما لا يستطيعان التحرك حتى يعرفا ماذا يدور فى غرفة قاضى التحقيق .. وما لبثا أن راحا يذرعان الردهة جيئة وذهابا وهما يشعران أن سيقانهما قد تتزايل من تحتهما فى أية لحظة .. ثم تهالكا صامتين فوق المقعد الخشبى مرة أخرى حيث جلسا ينتظران طويلا من قبل .

وعندما خرج جاك ، استوى روبو على قدميه متصلبا ، وقال له :
ـ اننا كنا ننتظرك ، سوف نسير الى المحطة سويا ، الا

ترى هذا ؟ قل لى ، ماذا حدث ؟

بدا جاك مرتبكا ، وتحول بنظراته وكأنما يحاول الا ينظر الى سيفرين .. وأخيرا قال :

ـ انه غير متأكد الان . انه يبدو كمن يتحسس طريقه فى الظلام . لقد سألنى ألم يكن هناك اثنان ارتكبا الجريمة .. ونظرا لاننى سبق أن أشرت الى وجود جسم قاتم فوق ركبتى الرجل العجوز ، فانه سألنى عن هذه النقطة مرة ثانية .. يبدو أنه يظن أنها السجادة ،ولهذا استحضرها وسألنى عن رأيى .. ربما كانت هى .. لا أدرى .

ارتعد الزوجان .. اذن فهم لا يزالون يجدون فى أثرهما .. اذن فلن يكون هناك سلام ولا سكينة .. كلمة واحدة من هذا الشاب يمكن أن تقضى عليهما .. ذلك لانه من المحقق أنه يعرف ، ولسوف يتكلم ان عاجلا او آجلا .. وخرج الثلاثة من المحكمة صامتين .. وفى الشارع قال روبو :

ـ بهذه المناسبة يا جاك ، ان زوجتى مضطرة للسفر الى باريس قريبا .. فهلا تكرمت أن تعنى بها مدة وجودها هناك ؟

• • •

الفصل الخامس

ما كاد القطار السريع القادم من الهافر يصل الى محطة سان لازار فى باريس حتى وثبت سيفرين الى الرصيف برشاقة وأسرعت تشق طريقها بين الركاب الى مكان القاطرة .

كان جاك واقفا فى مكان السائق يقطر بللا من أثر المطر الذى انهمر أغلب الطريق ، بينما وقف مساعده بيكيه الوقاد يصقل المفاتيح بخرقة فى يده .

قالت سيفرين منادية جاك من مكانها :

ـ اتفقنا اذن . سأكون فى شارع كاردنيه فى الساعة الثالثة ، وعندئذ يمكنك أن تقدمنى الى رئيسك لكى أشكره .

كان هذا هو المبرر الذى انتحله روبو . انها ستذهب الى رئيس مخزن السكة الحديد فى باتنيول لكى تشكره على خدمة تافهة أسداها اليه . وبهذه الكيفية يمكن أن تبقى تحت رعاية جاك باقى النهار ، وفى هذا ما يهىء لها فرصة لكى تصاحبه وتوثق صلتها به .

لكن جاك المتسخ بالفحم ، المبتل حتى العظام ، المجهد الى أقصى حد لكفاحه طوال الطريق ضد الريح والمطر ، نظر اليها بعينين جامدتين ، ولم يجب .. انه لم يعرف كيف يرفض طلب زوجها ، ولكن فكرة وجوده وحده معها ملأت نفسه انزعاجا ، ذلك لانه عرف الان أنه يريدها .

على أنها حين كررت ذكر الموعد ، لم يتمالك أن أكد

لها انه سيكون هناك فى الوقت المحدد .

ولما خرجت من المحطة رأت أن تتناول طعام الغداء أولا ، فدلفت الى مطعم قريب وطلبت طبقا من البيض المقلى وشريحةلحم مشوى وجلستتأكل ببطء ، وفى أثناء الطعام طالعتها الافكار التى كانت تطوف بخيالها منذ أسابيع . كان وجهها شاحبا متطاولا ، وقد ذهبت عنها الابتسامة المغرية .

ان روبو قرر بعد يومين من استدعائهما الاخير الى محكمة روان أن يرسلها دون تأخير لزيارة سكرتير عام وزارة العدل ، مسيو كامى لاموت ، لا فى مكتبه فى الوزارة ، بل فى منزله بشارع روشيه ، المجاور للمنزل الذى كان يملكه القاضى جرانموران .. أن هذين السيدين البارزين كانا صديقين حميمين ، ولما كانت سيفرين قد التقت مرارا مع مسيو كامى لاموت عندما كانت تنزل ضيفة على جرانموران فى الضيعة ، فلم يكن ثمة مانع من أن تسعى الى تجديد تعارفها القديم به . ان فى هذا فائدة كبرى للزوجين روبو بسبب الموقف الخطر الذى وجدا نفسيهما فيه .

وبالامس فقط جد سبب آخر للقلق والانشغال جعل هذه الرحلة الزم من كل وقت ، فمن خلال الاشاعات التى دارت فى محطة الهافر كانت هناك اشاعة نسجتها مدام لوبليه وفيليمين تقول أن الشركة اعتبرت روبو متورطا كثيرا فى قضية جرانموران وأنها تنوى فصله من العمل . وكان الاسوأ من هذا أن مسيو دباديه ناظر المحطة لم يستطع أن ينكر هذه الاشاعة عندما سئل عنها . فكان من الضرورى اذن أنتبادر سيفرين بالذهاب الى باريس لتفسير الموقف وللحصول على تأييد تلك الشخصية الكبيرة النفوذ .

ولكن من وراء هذا كله كان هناك باعث آخر أشد الحاحا

لاتمام هذه الرحلة .. هو الحاجة الماسة المضطرمة لمعرفة اين يقفان ، الحاجة التى تدفع المجرم الى فضح نفسه على ان ينتظر وهو لا يعرف ما سوف يحل به .. ومنذ أن اخبرهما جاك أن الاتهام يشتبه فى قيام اثنين بارتكاب الجريمة ، فان هذا الاشتباه بدأ يعتصر خياتهما .. لقد راحت التصورات تحدق بهما من كل جانب وتمزق نفسيهما .. ربما عرف أمر الرسالة .. ربما عرفت الحقائق كاملة .. وفى كل ساعة كانا يتوقعان أن يتم تفتيش مسكنهما ، بل أن يتم القبض عليهما .. ان أتفه حادث أصبح شيئا مهددا مستطيرا .. رباه ! .. من لهما بمن يعرفهما بالحقيقة !

وغادرت سيفرين المطعم وسارت فى الطريق مسرعة الى غايتها .. انها كانت تحب دائما كلما جاءت الى باريس ان تطوف بالمحال التجارية وتتفرج على المعروضات وتتسلى باستعراض الواجهات المنسقة المغرية ، اما اليوم قد شعرت بأنها ضائعة مهددة ، وكان قصارى غايتها ان تتم مهمتها وتعود الى دارها بأسرع ما تستطيع .

وفى طريقها مرت بمنزل جرانموران ، فرأته صامتا مهجورا موصد النوافذ ولم تدر ما الذى دفعها الى أن تلقى عليه نظرة ثانية بعد ان تجاوزته ، ولكنها عندما فعلت ذلك ، لمحت مسيو دنيزيه قاضى التحقيق فى روان سائرا فى نفس الاتجاه ، على الرصيف المقابل .. لقد انزعجت حقا .. ترى هل أبصرها ، لكنه تابع طريقه بهدوء ، وهكذا تركته يتقدمها وجعلت تتبعه فى قلق .. ثم كانت هناك صدمة ثانية فى انتظارها ، فانه عندماوصل الى منزل مسيو كامى لاموت ، وقف ، وقرع الجرس .

ارتاعت سيفرين ، واندفعت فى شارع مجاور فلم

تتوقف حتى وصلت الى كوبرى السكة الحديدية ٠٠ كيف يمكنها اتمام الزيارة الان ؟ ٠٠ لقد وقفت مستندة الى سور الكوبرى ، وجعلت تحدق مذهولة فى المحطة الضخمة ذات الحركة الكبيرة من تحتها ٠٠ لابد ان قاضى التحقيق جاء فى امر يتعلق بالجريمة ٠٠ لابد انهما يتكلمان عنها الان ٠٠ ربما كان مصيرها يبت فيه الان وفى هذه اللحظة . وفى دوامة اليأس شعرت بدافع فجائى لالقاء نفسها من فوق الكوبرى تحت أحد القطارات المارة ، على ان تعود الى شارع روشيه ٠٠ لكن اذا رجعت خاوية اليدين ، وليس معها سوى ذلك العبء الثقيل من القلق والعناء والخوف ، فما اضيع رحلتها ، وما اشد ما سوف تكابده بعد ذلك ٠٠ وانتظرت خمس دقائق لتتمالك اعصابها ٠ وابتعدت بنظرها عن القطار المار من تحت قدميها وسرحت بنظرها الى أعلا ٠٠ كانت منها التفاتة الى اليسار عرفت نافذة فكتوار وتذكرت كيف أطلت منها مع زوجها قبل ذلك المشهد المروع ، ذلك المشهد الذى أثار كل هذه الكوارث ٠٠ كأن ذلك مدعاة الى تفكيرها من جديد فى الخطر الراهن الذى يحدق بها ، وفجأة شعرت بأنها على استعداد للمخاطرة بكل شىء لكى تنتهى من هذا كله ٠٠ ومرة أخرى اتجهت الى شارع روشيه ، وفى هذه المرة كانت تسير بخطوات اليائس المصمم على الانتحار .

فتح لها الباب خادم وسألها عن اسمها ثم قادها الى غرفة داخلية ٠٠ ومن خلال الباب نصف المفتوح استطاعت أن تميز بوضوح صوتين يتحدثان ، ثم كان صمت مفاجىء ولم تعد تسمع شيئا سوى دقات قلبها ٠ وعاد الخادم مرة ثانية وادخلها غرفة أخرى ٠٠ ان قاضى

التحقيق لم ينصرف ولاشك ٠٠ لابد انه مايزال موجودا ٠٠ ربما كان مختبئا خلف أحد الابواب !

الفت نفسها فى قاعة كبرى للمكتبة تكسوها السجاجيد الثقيلة والاثاث المتين ، وكانت الجدران شديدة السمك والنوافذ محكمة الى حد أنه لم يكن ينفذ صوت من الخارج . وكان رب الدار واقفا أمامها مرتديا الفراك وكان نحيلا مجعد الوجه أشيب العارضين ، ومن خلف تجهم هيئته الرسمية لاحت ابتسامة يسيرة .

لم يتقدم مسيو كامى لاموت للقائها ، ولم يدعها للجلوس ، وبدا انه يريدها ان تبدأ الكلام ٠٠ وساد صمت ريثما استجمعت سيفرين نفسها ثم أخذت تقول :

— هل لى ان أنعش ذاكرتك ياسيدى بان أذكرك انى تشرفت بمقابلتك فى دوانفيل ؟ انها كانت أيامى السعيدة، اما الان وقد حلت الايام المحزنة فلم يعد لى الا أنت ٠٠ اننى اتوسل اليك ياسيدى باسم الصديق الذى فقدناه، ان تحل مكانه وتأخذ بيدى .

كانت نبراتها سوية ، لا مبالغة فيما ابدته من ابتهال او حزن ٠ فأشار اليها مسيو كامى لاموت بالجلوس وجلس هو ايضا ، وانتظر ان تتابع كلامها ، وعرفت انه يريد ان تطرق صميم الموضوع ٠

لقد بدت له موفورة الجاذبية والاخلاص حتى لقد سكنت شبهاته وقتيا أنه كان يعرف كل شىء عن علاقتها بصديقه القاضى جرانموران ولابد أن الرسالة التى اكتشفها بين أوراقه صادرة منها . أنه قطع حديثه مع مسيو دنيزيه لكى يصل الى تأكيد ما يظن أنه يعرفه هو فعلا . ولكنه عندما شاهدها

هنـا فى مثـل هـذه الرقة وهـذا الحيـاء ، كان من الصعب ان يعتقد انها مدانة بجريمة القتل ·· ومهما يكن فقد أراد أن يستجلى الامر كله بصدد غرضها من هذه الزيارة ولهذا قال لها دون أن يلين :

ـ هلا أوضحت كلامك يا سيدتى بشىء من التفصيل انني اتذكرك جيدا . وانا لا اطلب أكثر من مساعدتك اذا كانت فى طاقتى .

انشأت تبين له فى ايجاز ووضوح كيف أن زوجها مهدد بالفصل ·· ان الناس يحسدونه ، بسبب مواهبه الشخصية من ناحية ، وبسبب الرعاية التى كان يتمتع بها من ناحية اخرى ·· اما الان وهو أعزل من كل رعاية وحماية ، فانهم لا يتورعون عن شىء كى يقضوا عليه .. وهى ما كانت لتأتى الى باريس اليوم لو لم تكن مقتنعة بالحاجة الماسة الى عمل سريع ·· لوجاء الغد لكان بعد فوات الاوان .. انها تحتاج الى المساعدة الان .. والواقع انها اوضحت له كل هذا بدرجة كبيرة من الاقناع بدا له بعدها أنه يستحيل أن يكون باعثها الى الرحلة شىء غير هذا .

وكان مسيو كامى لاموت يتأملها بامعان ، من اول شىء بها الى تلك الاختلاجة اليسيرة فى شفتيها · وما لبث أن وجه اليها سؤاله الاول المباشر :

ـ لكن لماذا تريد الشركة ان تفصل زوجك ؟ لا شك انه لا يوجد شىء خطير ضده ؟

وكانت هى تراقبه بدورها فى امعان ، وهى تتساءل طول الوقت الا يكون قد وجد الرسالة .. وبرغم البراءة الظاهرية فى سؤاله ، فقد خامرها اقتناع مفاجىء بان الرسالة موجودة لديه ، وربما كانت فى هذه الحجرة

ذاتها ·· وقد يكون سؤاله شركا يعرف منه ان كانت ستعترف بالسبب الحقيقى بالفصل الوشيك ! ؟

لقد واجهت هذه اللحظة الخطرة بشجاعة وأجابت قائلة :

ـ هذا شىء لا يكاد يصدق ياسيدى ، ولكن هناك من يشتبهون فى أننا قتلنا الرجل المحسن الينا بسبب الوصية التعسة ·· اننا استطعنا بسهولة ان نثبت براءتنا ·· ولكنك تعرف كيف يلتصق الوحل ، وربما كانت الشركة على خوف من الفضيحة ·

ومرة ثانية ألفى نفسـه فى حيرة ازاء صراحتهـا واخلاصها البادى ، ورغم انه لم يتأثر اول الامر بمظهرها الجسدى ، فقد بدأ الان يرى عينيها المستعطفتين تحت شعرها الفاحم الغزير جذابتين يقينا ، وكاد يشعر بغيرة ممزوجة بالاعجاب من صديقه جرانموران الذى كان يكبره بعشر سنوات كيف أتيح لهذا الصديق أن يحظى بمثل هذه النساء الجميلات . فى حين أنه هو قـد اضطر الى نبذ هذه المباهج خوفا من أن يجـور على صحته ؟ ! فى الحق أنها كانت فوارة الجاذبية شديدة الاغراء ، ولاول مرة فان وجهه الرسمى البارد أضاءته ابتسامة .

ورأت سيفرين هذا فزادت جرأة وقالت :

ـ إن اناسا مثلنا ياسيدى لايقتلون من اجل المال لابد لنا من دافع آخر ولم يكن عندنا مثل هذا الدافع .

كان يراقبها ورأى زاوية فمها تختلج ·· آه ! اذن فهى مدانة آخر الامر !· انه واثق من هذا الان ·· لقد اختفت ابتسامته وأطبق شفتيه .. أدركت فى الحال انها تكلمت

اكثر من اللازم •• وشعرت بانها توشك ان يغمى عليها بيد انها جاهدت للجلوس مستقيمة فى المقعد •• وسمعت صوتها يتفوه بالكلمات المناسبة بنفس النبرات السوية. ان الحوار استمر بينهما لكنه لم يبق ثمة كلام يقال •• انهما كانا يفكران فى الاشياء التى لم تكن تقال •• ان الرسالة عنده ، وهى التى كتبتها ! ••• قال لها أخيرا :

— سيدتى • اننى لن ارفض بذل كلمة لدى الشركة إذا كنتم تستحقون حقا مساندتى • ان مدير المستخدمين سيحضر لمقابلتى هذه الليلة فى مسألة أخرى •• لكننى سأحتاج الى بعض التفاصيل • فهلا كتبت اسم زوجك كاملا ، مع سنه ، ومدة خدمته واية بيانات اخرى ذات قيمة •

ودفع اليها بخوان صغير دون ان ينظر اليها •• فراحت تجاهد مستميته للبحث عن عذر لتجنب كتابة اى شىء .. ثم ذكرت لنفسها : ولم لا ، مادام يعرف على اى حال ؟ وهكذا وبهدوء ظاهرى ، كتبت له ما طلب بينما كان واقفا خلفها ورأى أن الحظ هو نفسه فى الواقع •• يالها من شجاعة جسورة حقا ، هذه المرأة الشابة الطيعة ! •

— اعطنى هذه الورقة يا مدام ، وسوف أفعل ما يمكننى •

— اننى شديدة الامتنان لك ياسيدى •• انك لن تدعهم يفصلون زوجى ، اليس كذلك ؟

— لا بأس لا أستطيع أن أعد وعدا قاطعا .. لنفكر فى الامر اذا أمكنك أن تعودى الى فى الساعة الخامسة فربما كانت عندى أخبار لك فى هذا الوقت .

وغادرت المنزل فى حال اسوأ مما دخلته •• ان الموقف

الان اكثر تحديدا واحفل بالشر •• انها اصبحت مهددة بانقبض عليها قريبا .. كيف يمكن بالله أن تطيق هذا كله حتى الساعة الخامسة ؟ .. فجأة تذكرت موعدها مع جاك — شخص آخر يمكن أن يقضى عليها ! .. لم تكن الساعة قد بلغت الثانية والنصف ، ولكنها أسرعت قاصدة الى شارع كاردينيه .

بعد ان خرجت سيفرين ، وقف مسيو كامى لاموت امام مكتبه بوصفه سكرتيرا عاما لوزارة العدل ، كان مدركا تمام الادراك مدى القلق الذى كانت قضية جرانموران تسببه فى الدوائر العليا أن صحف المعارضة مازالت ماضية فى حملتها الصاخبة ، بعضها يتهم البوليس بتركيز نشاطه وتسخير قواه للتجسس السياسى حتى اصبح لا يجد فى الوقت متسعا لاعتقال القتلة ، وبعضها يخوض فى الحياة الشخصية للقاضى القتيل وينشر تلميحات مؤداها انه هاهو ذا صاحب شخصية كبيرة المقام انغمس فى شر الوان الفجور .. ان هذه الحملة ، والانتخابات على الابواب ، كانت تهدد بكارثة •• ومن اجل هذا اعطى السيد كامى لاموت كامل المسئولية للتصرف فى هذه القضية الدقيقة ، بأسرع ما يمكن ولا يهم على أى وجه يكون .. انه لابد له وحده من اتخاذ القرارات ويتعين عليه أن يتوسل بأقصى الحرص وأتم الخدم .. ولو أنه وضع قدمه موضعا خاطئا ، فسيكون عليه كذلك أن يدفع الثمن لا ثمن خطئه فحسب • بل كذلك أخطاء الاخرين .

ثم فتح كامى لاموت وما زال غارقا فى أفكاره باب الغرفة التى كان دنيزيه ينتظر فيها .. انه سمع كل الحوار الذى دار مع سيفرين وعندما دخل الى حجرة المكتبة قال :

— قلت لك هذا . اننا كنا على خطأ فى الاشتباه فى هذين الزوجين .. ان المرأة لا تزيد عن كونها تحاول انقاذ زوجها من الفصل . انها لم تذكر كلمة واحدة يمكن ان تدينهما .

لم يجب السكرتير العام فى الحال .. ان هذا الرجل عنيد أحمق فى توكيده بانه يعرف الجواب على كل سؤال .

سأله : اذن فانت ما زلت ترى أن كابوش هو الجانى ؟

— بالطبع ! ان كل شىء يشير اليه .. انها قضية مثالية اذا جاز هذا التعبير ، انى تحريت موضوع احتمال وجود امرأة فى مقصورة القطار ، ولكن الرجل ، وهو سائق قطار ، الذى لمح القاتل عدل عن أقواله الاصلية وأقر بأن الجسم القاتم الذى رآه لابد أنه سجادة أجل أن كابوش هو الجانى ، ما فى ذلك شك !

كان مسيو كامى لاموت ينتظر حتى الان أن يطلع دنيزيه على الدليل الكتابى الذى يثبت ادانة الزوجين روبو ، أما الان وقد استحوذ على هذا الدليل كاملا قد شعر بانه أقل استعدادا من أى وقت سابق لاماطة اللثام عن الحقيقة .. لماذا يبعد الاتهام عن طريقه المضلل ، اذا كان الطريق الصحيح سيؤدى الى ارتباكات أشد ؟ لابد له من وقت يفكر فيه .. وقد قال وهو يبتسم باعياء :

— انى على استعداد لكى اسلم بانك قد تكون على حق يادنيزيه وما طلبت اليك المجىء الا لكى نتدارس بعض النقط الاخرى . ان هذه القضية قضية غير عادية ، والان قد اصبحت مشكلة سياسية ... انك تدرك هذا ، اليس

كذلك واذن فقد نجد انفسنا مضطرين الى العمل كسياسيين .. قل لى بصراحة .. هل ادت تحرياتك الى اثبات أن الفتاة لويزيت اغتصبت ؟

ضم قاضى التحقيق شفتيه واختفت عيناه أو كادتا تحت أجفانه الثقيلة وأجاب :

— فى الحق انى اعتقد ان القاضى جرانموران حاول هذا ولابد أن ينكشف هذا فى المحاكمة .. واذا وكل الدفاع الى محام من صفوف المعارضة فلنا أن نتوقع ظهور قصص كثيرة قذرة .. اننا لا نعدم امتلاء جانبنا بهذا النوع كما تعرف ..

هكذا بدا أن دنيزيه لم يكن متبلدا ضيق الذهن متى ابتعد عن روتين المهنة . لقد فهم تمام الفهم لماذا استدعى لا الى الوزارة بل المسكن الخاص للسكرتير العام ..

وقد اومأ كامى لاموت برأسه مؤمنا ومؤيدا .. انه كان يحسب حساب النتائج التى تترتب على تقديم الزوجين روبو الى المحاكمة ... لو ان الزوج مثل امام المحكمة لكان من المؤكد ان يقول كل شىء .. يذكر كيف ان زوجته ايضا غرر بها فى صغرها وكيف انه ارتكب جريمة القتل فيما هو المظنون فى نوبة غيرة جنونية . وهكذا لا تبقى القضية مسألة خادمة ومسجون من أرباب السوابق .. ان روبو رجل فى مركز معروف وله زوجة حسناء .. ومن شأن قضية كهذه أن تضع قطاعا كبيرا من الطبقة المتوسطة ومن عالم السكك الحديدية فى وضع سيىء .. ناهيك برجل مثل القاضى جرانموران ! .. انهم قد يكشفون القناع عن أشياء أخرى تكون أكثر صدمة للرأى العام وأفدح أثرا بل قد يكون الضرر الذى يترتب عليه

القبض على روبو ابلغ كثيرا من القبض على كابوش
قال كامى لاموت فى النهاية :

ــ لا بأس . انى معك فى الرأى يا دنيزيه من المؤكد أن هناك قضية قوية ضد عامل المحاجر اذا كانت له مظلمة شرعية .. لكن شد ما يكون أمرا غير مرغوب فيه أن يكون هناك اضطرار لاثارة الفضائح ونثر كل هذا الوحل ! .. انى أعلم أن العدالة لابد أن تتم دون نظر الى النتائج أو اعتبارات المصلحة الذاتية لكن .

واتم عبارته باشارة ، بينما جعل قاضى التحقيق ينتظر الاوامر التى كان يعلم انها آتية .. انه بعد أن وضع دعائم الحقيقة بعمق فهمه وذكائه ــ كما كان يظن ــ فهو مستعد الان للتضحية بفكرة العدالة ــ على نزع المطالب الحكومية .. ولكن السكرتير العام ، بالرغم من واقعيته فى هذه الامور ، كان متعجلا شديد التعجل، وكان يتكلم بأسلوب شخص تعود أن يطاع .. اذ قال :

ــ الواقع اننا نريد وضع القضية على الرف .. يجب أن ترتب الامور وفقا لهذا .

فقال دنيزية : ــ عفوا ياسيدى ان الامر لا يتوقف على بل على ضميرى .

فابتسم السيد كامى لاموت وراح يقول :

ــ ولكن هذا طبيعى . انما هو ضميرك الذى أتحدث اليه . اننى أترك لك أن تتخذ تلك القرارات التى يمليها عليك، موقنا انك سوف تزن القضية بتلك الكيفية التى تكفل انتصار الفكر السديد والمثل الاخلاقية العامة.. انك لتعلم خيرا منى انه احيانا يكون أكثر حكمة تقبل شر لابد منه اذا كان مثل هذا العمل يؤدى الى اجتناب أسوأ

الشرين .. اننا فقط نناشد فيك المواطن الصالح والرجل الفاضل الخير .. ما من أحد تحدوه أدنى رغبة للتأثير على قرارك ، ولهذا فانى أكرر أنك صاحب السيطرة المطلقة على القضية ، كما يطلب منك القانون أن تكونه حقا .

والحق أن قاضى التحقيق، الذى كان معتزا بهذه القوة ، خصوصا وقد كان يوشك أن يسىء استخدامها، كان يؤمن على كل جملة بايماءة راضية من رأسه .

على حين تابع الاخر كلامه ، فراح يقول وقد شفت رقته المبالغ فيها على حد السخرية :

ــ وفضلا عن ذلك ، فمع شخصية مثلك ، فاننا نعرف نموذج الرجل الذى نتعامل معه .. اننا كنا نتابع أعمالك منذ وقت طويل ، ويسوغ لى أن أقول أننا سوف نستدعيك الى باريس فى الحال اذا وجدنا أحد المناصب الشاغرة ..

تململ السيد دنيزيه فى مقعده .. ما معنى هذا ؟.. لو أنه فعل ما هو مطلوب منه ، أفلا يحققون اذن طموحه الكبير ، حلمه بمقعد فى محاكم باريس ؟ .

ولما لاحظ كامى لاموت رد الفعل فى نفسه ، استطرد يقول :

ــ ان مكانك محجوز لك هنا ، والمسألة مسألة وقت فقط . ونظرا لانى قلت لك ما قلته ، فيسوغ لى أن أخبرك بأن اسمك سوف يرفع للعرض فى الخامس عشر من أغسطس .

فكر السيد دنيزيه بسرعة البرق ورأى أن فى هذا نهاية للفقر المستور ، وتصور دولاب ملابسه وقد امتلا

بالجديد، وزوجته الحبيبة ميلانى وهى أفضل تغذية وأقل الحاحا فى الشكوى .. وهكذا قال:

ـ اننى متأثر جدا .. ممتن جدا .. أرجو ابلاغ الوزير هذا .

ونهض قائما وقد شعر ان أى مزيد من الحديث بعد هذا لا يمكن الا ان يكون احراجا لكليهما . وقال فى النهاية :

ـ حسنا ياسيدى . اننى ساختتم تحقيقى، واضعا آراءك نصب عينى .. وطبيعى اننا اذا لم نجد دليلا حاسما ضد كابوش، فالافضل ان نتجنب الفضيحة التى لا فائدة منها بتقديمه الى المحاكمة .. فى الامكان أن نفرج عنه، ولكن نستمر فى مراقبته ..

● ● ●

وفى هذا الاثناء كانت سيفرين تبكر فى الذهاب الى موعدها مع جاك .. انه كان يقيم فوق سطح مبنى مرتفع فى غرفة صغيرة لم يكن يستخدمها الا للنوم ليلا . لكنه اليوم ذهب اليها وهو مجهد مبلل، فانطرح فى الفراش واستغرق فى النوم . ولو لم يستيقظ على شجار الجيران لظلت سيفرين تنتظره دون طائل . فقام واغتسل ولبس وهو متضايق ساخط، ورآها من غرفته وهى تنتظر على الرصيف .

وعندما نزل اليها هتفت قائلة :

ـ هذا أنت أخيرا ! .. ظننت انى أخطأت العنوان . اذن أنت تقيم هنا !

فارتبك، وخشى أن تدفعها رغبتها فى مصادقته الى أن تطلب منه رؤية غرفته، وهى حقيرة الاثاث وغير مرتبة حتى ليخجل منها . ورد عليها قائلا :

ـ آه . اننى أمضى هنا ساعات قلائل .. لابد أن نسرع . أخشى أن يكون رئيس المخزن قد انصرف .

وفعلا، فانهما حين وصلا الى البيت الصغير خلف مخزن القاطرات، ولم يجداه هناك . وقال بعضهم أنه يمكنهما أن يعودا فى الرابعة والنصف، حين يكون موجودا بالتأكيد فى ورشة الاصلاحات .. فقالت سيفرين :

ـ سوف نفعل هذا .

وعندما رجعا أضافت تقول له :

ـ اذا لم يكن عندك شاغل، فهل يكون من الملائم أن أنتظر معك ؟

لم يكن يستطيع الرفض . وفضلا عن ذلك، فبرغم القلق الذى كان يشعر به عندما يكون معها، فقد وجدها تزيد جاذبية وفتنة . وبدأ التبرم الذى التزمه حيالها يذوب تدريجيا تحت نظراتها الباسمة .

قال لها : ـ لا بأس .. بالطبع يمكنك الانتظار معى . لكن أمامنا أكثر من ساعة للانتظار . فهل نذهب الى مقهى؟

فابتسمت، وسرها أن تراه يميل الى المودة، وقالت :

ـ لا .. لا أريد أن أحبس فى مكان مغلق .. أفضل أن نتمشى، فى أى مكان تحب .

ودون أن تنتظر جوابه، تناولت ذراعه برقة .. لقد لاحظت الان، بعد أن اغتسل من تراب الفحم، أنه يبدو وسيما . انما عيناه فقط، العينان المنقطتان بلون ذهبى : اللتان كانتا ترفضان ملاقاة عينيها، ما برحتا تثيران قلقها . اذا كان يتحاشى النظر اليها، فهل مرجع ذلك الى أنه راغب عن توريط نفسه معها، وأنه يريد أن يكون حرا للتصرف كما يحلو له، حتى ولو ضدها اذا لزم الامر ؟ لقد تذكرت أن مصيرها،

ربمـا كان يجـرى البت فيـه هـذه اللحظـة فى قاعة المكتبـة بالمنزل الكائن بشـارع روشـيه .
وأدركت أنه لابد لها أن تجعل هذا الرجل ملكا لها ·· لو أنه تيسر لها أن تحمله على النظر فى عينيها،فقد شعرت بأنها قادرة على أن تناله · أنها لم تحبه ، ولم تكن لديها فكرة لهذا ، ولكنها أرادت أن تستغله ، وأن تسخره لنفسها ، وأن تستحوذ عليه، حتى لا يمكن بعد ذلك أن تخشى شيئا من ناحيته·

وسارا بضع دقائق صامتين · ولما وصلا الى الحدائق المجاورة راحا يتجولان فى مماشيها التى لم يكن بها سوى بعض الامهات مع أطفالهن ، حتى وصلا الى بقعة تكسوها أشجار التنوب التى كانت أوراقها الداكنة الخضرة تلمع فى ضوء الشمس . فجلسا على مقعد ، وبعد برهة قال:

ــ أرى الطقس تحسن بعد المطر ·

ــ نعم . والشمس عادت من جديد .

بيد أنهما لم يفكرا فى أمر الطقس حقا · فأما هو ، الذى كان عادة يتحاشى النساء ، فكان يفكر فى الاصوات التى جمعت بينهما · ها هى ذى بجانبه ، تلامسه ، وتهدد باقتحام حياته ، وهو لا يستطيع التغلب على غرابة هذا الامر· فمنذ ذلك اليوم فى مكتب قاضى التحقيق فى روان : لم يكن لديه شك فى أنها لعبت دورا فى جريمة قتل القاضى ·· لكن لماذا ؟ ما الذى دفعها الى أن تفعل ذلك ؟ لقد وجه الى نفسه هذا السؤال مرارا ، لكنه لم يجد عنه قط جوابا مرضيا ·· وكانت تطارده دائما فكرة مدارها هو أن الواجب يقضى عليه بابلاغ البوليس بكل شىء يعرفه . وكانت هذه الفكرة ماثلة لديه الان ، وهو جالس ملاصقا لها ، حتى ليشعر بحرارة جسدها قرب جسده .

وأما هى فكانت تفكر فى أن جاك لابد أن يكون غبيا حقا اذا لم يفهم أنها وزوجها هما الجانيان ·· انهما أبديا لهفة بالغة للترامى عليه .. وفى نفس هذه اللحظة بالذات فها هى ذى جالسة ملاصقة له ·· لقد تلاقت أعينهما وأدركت أنه يتساءل فى نفسه أليست هى التى شاهدها فى القطار تضغط على ساقى القاضى جرانموران ؟ ·· ومرة أخرى راحت تسائل نفسها : ما الذى لابد أن تفعله لكى تجعله يلزم الصمت الى الابد ··

فجأة طالعها نوع من الالهام .. فأمسكت بيده فى رقة ونظرت اليه .. كانت الاشجار تحجبها عن المـارة فى هذا الركن المنعزل من الحديقة .. وقالت له :

ــ هل تظن انى فعلت تلك الفعلة ؟

فارتعد يسيرا ، وما لبث أن نظر اليها مواجهة لاول مرة ·· وكان صوته مهتزا عندما أجاب :

ــ نعم ·

فشدت على يده ، وتمهلت برهة قبل أن تقول :

ــ أنت مخطىء ·· اننى لم أفعلها ·

لم تقل هذا لكى تقنعه ، ولكن لكى تحذره من أنه مهما يكن من رأيه،فانها تريد أن تبقى بريئة فى أعين الاخرين ·· أنه اعتراف المرأة التى تقول (لا) ــ بغض النظر عن الحقائق ــ لانها تريد أن يكون الرد هو (لا) ، ودائما (لا)·

ــ اننى لست مذنبة يا جاك·· يجب ألا تسىء الى بالتفكير فى انى هكذا ·

كانت سعيدة الان عندما أصبح يواجه نظراتها فى يسر وسهولة ·· ان ما فعلته فى الواقع هو أنها مهدت السبيل لكى تقدم نفسها اليه ذات يوم ·· اذا طالب بهذا فانها لن تأبى عليه .. الان قد توثق الرباط بينهما ، بلا كلام ، ولا

فكاك .. أنها غدت تحمله على الكلام حمــــلا الان .. انه أصبح لها ، كما أصبحت هى له .

ـــ لن تسىء الى مرة أخرى ؟ ستصدقنى دائما ؟

ـ اننى أصدقك .

قالها باسما .. وما الذى يدفعه حقا الى الاساءة اليها بالضغط عليها لكى تتحدث تفصيلا عن ذلك الشىء المروع ؟ فيما بعد يمكنها أن تقول له كل شىء اذاهى أرادت .. أنها بهذا الاعتراف له والتماس مسالمته على هذه الصورة قد مسته فى أعماقه .. كانت وديعة ، تأتمنه علــى السر . كانت امرأة ، على استعداد لان تشعر بالسعادة بالخضوع لرجل .. ان ما أبهجه أكثر من هذا ، وهما جالسان الان يدا بيد ، هو أنه لم يعد يشعر بتلك الرجفة المروعة التى كانت تلم به عادةكلما اقتربمنامرأة .. فهل معنى هذا أنه سيستطيع أن يحب هذه المرأة دون أن يشعر بتلك الحاجة المخيفة للقتل ؟

قال لها هامسا :

ـ أنت تعرفين اننى صديقك ، وأنه ليس هناك ما يدعو لان تخافى منى .. لا اريد ان أعرف ما حدث .. سأفعل ما تريدين ..

وجعلا الان يتبادلان الحديث بمودة وصفاء .. لقد عاد اليها الضحك بعد أن انزاح عن عقلها ذلك العبء الثقيل .. انها لم تحب هذا الفتى .. أو على الاقل لم تكن تظن أنها تحبه .. والواقع أنها برغم ذلك الوعد المستتر الذى وعدته به ، بدأت تفكر فيما اذا كان يمكنأنتتحلل منه .. بيد أنه بدا رقيقا معها ، وهو لن يضايقها بعد الان . وسيكون كل شىء على ما يرام ..

قالت له : ـ اتفقنا اذن .. اننا صديقان ، وليس لهذا علاقة بأحد ، حتى ولا زوجى .. والان هل يمكننى أن

استرد يدى ؟ لا تنظر الى هذه النظرات حتى لا تؤذى عينيك ! ..

لكنه استبقى يدها فى يده ، وقال متلعثما :

ـ تعرفين اننى أحبك .

فجذبت يدها مسرعة ووقفت قائلة :

ـ ياله من كلام غريب ! .. اضبط أعصابك ! .. هناك شخص قادم ! ..

وفى هذه اللحظة سمعت الساعة تدق الخامسة .. فهتفت سيفرين :

ـــ يا الهى ! .. يجب أن أكون الان فى شـــــارع روشيه ! ..

وذهب عنها الانتعاش عندما فكرت فيما قد ينتظرها هناك .. انها لم تكن آمنة بعد .. وقد شحب لونها وارتعشت شفتاها .. فقال لها :

ـ وماذا عن رئيس مخزن السكة الحديد الذى كنت تريدين مقابلته ؟

ـ لا يهم . سوف أقابله فيما بعد .. اننى استأذن الان يا عزيزى .. دعنى أذهب لاتمام ما أريد اتمامه .. واننى أشكرك .. أشكرك من أعماق قلبى ! ..

وشدت على يده وأسرعت مبتعدة .

ـ هل سأراك فى القطار ؟

ـــ نعم . فى القطار .

واختفت بين الاشجار ، بينما سار هو متمهلا الى شارع كاردينيه .

وعندما وقفت مرة ثانية لاهثة الانفاس فى حجرة المكتبة المتينة الاثاث ، راح مسيو كامى لاموت ينظر اليها برهة فى صمت وهو مبهور بذلك الجهد الخارق الذى كانت تبذله لكى تبدو هادئة متماسكة .. أجل .. انها

قطعا جذابة ، تلك الجانيـــة الفـــاتنة ، ذات العينين الاسرتين!··

ـ حسنا يا مدام··

وتوقف ، لكى يستمتع بقلقها فترة أخرى ·· بيد أنها تطلعت اليه بأشد استعطاف ، حتى لم يتمالك أن رق لها ، وقال :

ـ انى قابلت مدير المستخدمين، وقد رتبت الامر بما يؤدى الى بقاء زوجك فى عمله · لقد سوى كل شىء ·

اشتد ارتياحها حتى لم تستطع الكلام ·· وامتلات عيناها بالدموع ، وعالجت أن تبتسم ·· ثم انحنت فوق يديه ، وقبلتهما ، وضغطت بهما على خدها ·

واستطرد يقول محاولا أن تبدو لهجته صارمة:

ـ لكن ، يجب أن تحذرا فى تصرفاتكما فى المستقبل ! ضعا نصب أعينكما أن الملفات موجودة ويمكن اعادة فتحها بسهولة ·· وفوق كل شىء قولى لزوجك أن يبتعد عن السياسة ، وسوف يجد منا الصلابة التامة فى هذه الناحية · أنه سجل فى ملفه نقطة سوداء بسبب ذلك الحادث المؤسف الذى استدعاه نائب المدير من أجله ، وقد أصبح معروفا بأنه ذو ميول جمهورية يؤسفنها ·· ان هذا لا يجوز ! ·· وهكذا لابد أن يعمل على تحسين سلوكه ، والا فسوف يوقع نفسه فى مشكل خطير ··

ونهضت قائمة وهى تتعجل الثوانى للخـروج الى الشارع·· لقد شعرت أن ارتياحها وفرحها يكادان يخنقانها ··

ـ تأكد يا سيدى اننا سوف نفعل كل ما تحب · فى أى وقت ، وفى أى مكان ، ما عليك الا أن تأمر

كان يبتسم الان ، ابتسامة الخبير المجرب ، المتشكك فى طبائع النفس البشرية · ونهض يفتح لها الباب ·· وقبل

أن تبتعد التفتت خلفها مرتين ووجهها متهلل بالشكر ··

سارت فى الطريق كامرأة مأخوذة · كانت تريد أن تلوح بذراعيها وأن تصيح من فرط المرح ·· فهى الان قد أصبحت آمنة ! آمنة ! ·· وأكثر من هذا ، كانت فى يدها الان قوة · أنها تستطيع أن تبث الخوف فى نفس زوجها كلما شاءت · أنها تستطيع أن تجعله يلتزم مكانه الصحيح ! ··

وعرجت على مطعم قريب حيث تناولت أكلة طيبة هذه المرة تعويضا لسوء التغذية وللجهد الخـارق الذى بذلته·· وقبيل قيام القطار بدقائق كانت فى المحطة الكبيرة تشق طريقها مسرعة الى مكان القاطرة· وكان جاك يطل من مكانه محاولا أن يميز صورتها بيـن المسافرين وقد خامره القلق ألا تأتى ·· كان واثقا أنها لن تسافر دون أن تأتى لتراه أولا ·· وقد صدق حدسه · فها هى ذى تسرع اليه ومحيـاها يفيض اشراقا ، وقالت له بابتسامة عذبة وهى تقف على أطـراف أصابعها :

ـ هل كنت تتساءل أين ذهبت يا ترى؟

وشبت فوق أطراف أصابعها أكثر ، وأردفت برقة :

ـ اننى سعيدة جدا ! ·· ان الحظ كان حليفى ! كل شىء كنت أرجوه تحقق ·

كان يعرف ما تعنى ، وقد سر من اجلها ·· وعندما جرت عائدة الى القطار استدارت اليه هاتفة :

ـ احترس فى سيرك ·· لا تندفع حتى لا يحدث تصادم !

فهتف يطمئنها مبتهجا :

ـ لا لزوم للخوف !

وصعدت سيفرين الى مقصورتها والابواب تغلق ··

واعطيت الاشارة ، وفتح جاك منظم السرعة . وتحرك القطار وانيا .. كان مثل القطار الذى سار فى تلك الليلة المشئومة فى فبراير ، ولكن ضوء النهار لم ينحسر تماما بعد ، ووقفت سيفرين فى النافذة تتأمل الطريق فى الشفق الرقيق الساكن .

وفى داخل مقاطعة ليزون كان جاك يقود قاطرته الانيقة المحبوبة بيد المدرب القدير الذى يعرف كل دقـائقها وخباياها وهو يشعر بسعادة غامرة لم يعهد مثلها من قبل

ومرت المحطات متعاقبة وليزون الطيعة تطوى الطريق طيا .. وبعد محطة روان كان القمر يغمر الريف بضيائه الفضى ويبدى كافة المعالم المعهودة واضحة بارزة .. وبعد الخروج من نفق مالونى تطلع جاك من القاطرة الى ناحية اليمين ، وعرف البقعة التى شاهد فيها ارتكاب الجريمة .. ثم تعاقبت المشاهد . ها هو ذا المنـزل فى (كروادى موفرا) يلوح للعيان مهجورا يلفه الحزن ، نوافذه موصدة ابديا .. كان جاك يرتعد دائما كلما مر بهذا المنزل ، وقد زاد ارتعاده هذه المرة ، وكان مصيره كله مرتبطا بهذا المنزل .

ثم شاهد شيئا آخر .. كانت فلور واقفة عند بوابة المزلقان .. فى كل مرة كان يمر فيها من هنا هذه الايام كان يلمحها واقفة تراقب مروره .. انها لم تتحرك ، وكل ما فعلته أنها أدارت عينيها لتتابعا مرور القطـــار مسرعا .. كان خيالها الفارع القائم يبدو واضحا فى ضوء القمر الفضى الذى كان ينسكب فوق شعرهــا الاشقر ويذكى فيه حمرة النار ..

وعلى رصيف المحطة جرت سيفرين مرة أخــرى الى مكان القاطرة وقالت لجاك بابتسامتها الساحرة :

ـ شكرا لك ! . اراك غدا .

الفصل السادس

مضى شهر ، وساد الهدوء مرة أخرى فى مسكن الزوجين روبو فوق استراحة محطة سكة حديد الهافر ، ومضت الحياة فى المحطة رتيبة منتظمة كالساعة ، وكأنه لم يحدث شىء فاجع عنيف ..

لقد بدأت الضجة الصاخبة التى أثارتها قضية قتل القاضى جرانموران تفتر .. وبدا أن القانون عجز عن اكتشاف الجانى ، وأن القضية سوف توضع على الرف نهائيا .. وبعد ان ظل كابوش محبوسا اسبوعين على ذمة التحقيق ، أفرج عنه لعدم كفاية الادلة ، وبدأت اسطورة خيالية تشيع .. اسطورة قاتل ، مجهول ، غير منظور ، يتواجد فى كل مكان فى وقت واحد ، ويتهم بكل جريمة ترتكب ، ويتبخر فى الهواء حالما يصل رجال البوليس .. ومهما يكن فان صحف المعارضة كانت الان غارقة فى مشاكل الانتخابات القادمة ، واصبحت النكات اللاذعة عن القاتل الاسطورى اقل وأندر .. وشيئا فشيئا فقد الجمهور اهتمامه بالقضية ، ولم يعد أحد يتحدث عنها ..

وكان العامل الاساسى فى استتباب الهدوء فى بيت روبو هو التسوية المرضية لمسألة وصية القاضى . فبناء على نصيحة مدام بونون شقيقة القتيل ، تخلى الزوجان لاشيناى نهائيا عن فكرتهما فى الطعن فى الوصية ، خوفا من اثارة الفضائح ، وشكا فى النتائج التى تترتب على

السير فى الدعوى ٠٠ وهكذا بعد اسبوع اصبح الزوجان روبو مالكين للمنزل فى (كروادى موفرا) الذى قدرت قيمته باربعين الف فرنك ٠٠ وفى الحال قررا ان يحاولا بيع المنزل ، فانه كان يطوف بهما مثل كابوس ، ولم يجسرا على الاقامة والنوم فيه .. من يدرى اية أشباح تولدت هناك لفرط ما كان فيه من دماء مسفوكة وأعراض مستباحة ؟ ! وهكذا عملا على تعليق لافتة كبيرة على المنزل يمكن مشاهدتها من القطارات المارة ، انتظارا لاى مشتر يتقدم لاقتنائه ٠٠ والواقع أن هذه اللافتة زادت من تجهم المكان ووحشته ، بنوافذه الموصدة ابدا ، والحشائش البرية التى ملأت حديقته .. وقد رفض روبو ذاته أن يقترب من المنزل فى أية صورة من الصور ، وهكذا ذهبت سيفرين وحدها ذات يوموتركت مفاتيح المنزل لدى أسرة ميزار عامل الاشارة القريب ، لتقديمها الى المشترى المرتقب .

هكذا لم يعد هناك ما يكدر الزوجين روبو ، وتركا الايام تمر وانية متعاقبة ، قانعين بمسكنهما المتواضع ذى الثلاث غرف فوق استراحة المحطة .. والواقع أنهمابعد العناء المروع الذى كابداه والمحنة القاسية التى استهدف لها فى الشهرين الاخيرين ، قد أخلوا الى نوع من الخمول ، سعيدين بمجرد الوجود على قيد الحياة ٠٠

وبدا ان خمولا مماثلا استولى على جيرانهما ٠٠ ان ريح الثرثرة والقيل والقال التى كانت تهب حادة عنيفة فى الممشى الكبير فوق استراحة المحطة قد سكنت وهدأت ٠٠ وعندما كانت فيلومين تزور مدام لوبليه فان تهامسهما لم يكن يسمع ٠٠ لقد ادهشهما تطور الامور على هذا النحو ، واصبحتا تتكلمان عن روبو باشفاق يمازجه الاحتقار .. لا شك فيما كانتا تقولان ، ان زوجته قد

ذهبت تحتال فى باريس وتمكر للعمل على استبقاء زوجها فى عمله .. ومهما يكون من شىء فهو الان رجل مدموغ ، لا يمكن أن يبرأ قط مما علق به من شبهات . وهكذا سادت السكينة فى الممشى أيضا الا من حفيف اقدام مدام لوبليه وهى فى تحسسها الخفى الخالد على حركات ناظر المحطة ومدموازيل جيشون ٠٠

شىء واحد فقط كان يكدر صفو الزوجين روبو وينغص هدوءهما .. فى غرفة الطعام كان جزء من الارضية يثير الفزع فى نفسهما كلما نظرا اليه .. كانت اللوحة الدائرية حول الارضية هى التى اخفيا تحتها الساعة وكيس النقود ومبلغ العشرة آلاف فرنك التى أخذاها من جثة جرانموران ، تأييدا للنظرية القائلة بأن الجريمة ارتكبت بدافع السرقة .. ان روبو لم يمل من ترديدقوله انه ليس لصا ، وانه يفضل ان يموت جوعا على ان يبيع الساعة او يمس النقود ومع ذلك فانه لم يستطع ان يحمل نفسه على احراق الاوراق المالية او القاء الساعة فى البحر .. فى الليلة الاولى أخفى هذه الاشياء تحت وسادته ، وعندما تملكه الفزع من أن يجرى البوليس تفتيش مسكنه ، ذهب يبحث عن مكان امين ، الى ان اعياه البحث ولم يجد سوى اللوحة الدائرية فى الارضية يضع الاشياء تحتها .. والان .. ما من شىء فى الدنيا يمكن أن يحمل على دس يدك فى تلك الصورة .. بل انه كان يتحاشى أن يمشى فوق هذه الرقعة من أرض الغرفة .. لم تكن بها الاوراق المالية والذهب مخبأة فحسب ، بل كان معها الخوف أيضا .

وكانت سيفرين تماثله خوفا ٠٠ كانت اذا جلست قرب النافذة آخر النهار ، تجذب مقعدها بعيدا حتى لا تكون

قريبة من المخبأ ..

وكانا يظنان ان الزمن كفيل بأن ينسيهما ويذهب عنهما الخوف والتوجس .. لكن شيئا من هذا لم يحدث ، وبقى قلقهما ماثلا لا يتزحزح .. وكان ذلك مدعاة لاشد العجب ، فان المطواة الجديدة التى استخدماها فى ارتكاب الجريمة لم تكن لتثير فيهما اى قلق او انزعاج .. كل مافعلاه انهما غسلاها ببساطة ووضعاها فى درج ..

وكانت المرأة التى تتردد على المسكن لمساعدة سيفرين فى تنظيفه ، تستخدم هذه المطواة الكبيرة احيانا فى قطع الخبز .

ثم عمل الزوجان روبو على ادخال مصدر آخر للاحتكاك المتزايد فى حياتهما ، عندما سمحا لجاك لانتييه بأن يزورهما زيارات متكررة .. كان عمله كسائق يأتى به الى الهافر ثلاث مرات فى الاسبوع .. واول مرة جاء فيها كانت بعد رحلة سيفرين الى باريس .. كانت بعد الحاح شديد من جانب روبو ردا لجميله فى رعاية سيفرين وهى فى العاصمة واقل ما يجب فى حقه هو أن يدعواه الى الطعام بين وقت وآخر .. وجاء بعد ذلك عدة مرات .. وقد بدأ كأن روبو يضيق بالصمت الذى كان يخيم عليه وزوجته وهما يتناولان الطعام وحدهما ، فهو يرحب بوجود ضيف ليرفع الضيق ويخفف التأزم .

ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الزيارات من قبيل العادة ، الى حد أنه لو تراخى جاك مرة فى الحضور ذهب اليه روبو وقال انه يهملهما .. والحقيقة هى ان روبو اصبح هذه الايام صامتا متعكر المزاج بصورة متزايدة ، ولم يكن مزاجه ليعتدل الا اذا كان جاك معه ..

ان هذا الشاب الذى سبب له فى فترة من حياته اشد الجزع ، والذى كان حقيقا بأن يمقته كالشاهد الوحيد

الحى على الجريمة الشنيعة التى يريد ان ينساها هذا الشاب قد اصبح الآن ولا غنى له عنه ، وربما كان مرد ذلك الى انه وهو يعرف فعلته لم يتكلم قط ولم يبح بالسر .

وكانت سيفرين ايضا ترحب بجاك ، بعد ان اصبح شاغلا جديدا فى حياتهما الزوجية .. كانت ترحب به وتحتفى بمقدمه وتعد له أطباقا منتقاة .. كالمضيفة الكريمة تحتفى بصديق الاسرة .

ولكن على قدر ما كانت هذه الزيارات تتكرر ، كان التباعد بين الزوجين روبو يتزايد .. لقد اصبح يسرها أن يبقى الفراش لها وحدها والا تشترك به مع هذا الزوج .. هذا الزوج الذى كان مولعا بها فى الايام الاولى من زواجهما فأصبح الان منصرفا عنها غيرمكترث بها .. كانت تحتمله صابرة .. اما الان ومنذ ارتكاب الجريمة فان ملامسته لها كانت تثير اعصابها ، بل تروعها .. وذات ليلة لم تتمالك حين لمحت وجهه فى ضوء الشمعة ان صرخت فزعا .. فى هذا الوجه الاحمر المحتقن رأت وجه القاتل .. وكانت كلما لمسها ترتعد رعبا .. وكأن المدية فى يده يوشك ان يغمدها فى صدرها ! .. اما الان وقد آنس نورها فانه بدأ ينصرف عنها .. ان التعب واللامبالاة ، وتقدم الاعوام تلك العوامل التى تجرد الحب من نشوته ، بدا وكأنها زحفت عليهما قبل الاوان ، وهى عملية عجل بها ولاشك ذلك الدم الذى سفحاه .. ومن المؤكد ان وجود جاك ساعد على اتمام هذا الطلاق .. أن وجوده قد فصم الرباط الذى بينهما ، وبدأ يتحرر كلا منهما من صاحبه .

ولم يكن ذلك لان روبو شعر بالندم وتأنيب الضمير على ما فعله ، ولكن لو اتيح له أن يفعله من جديد لترك زوجته